سورة الذاريات

مكِّيةٌ في قول الجميع(١)، وهي سِتُّون آية(٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ قال أبو بكر الأنباري: حدَّثنا عبد الله بن ناجية، حدَّثنا يعقوب بن إبراهيم، حدَّثنا مكِّيّ بن إبراهيم، حدَّثنا الجُعَيد بن عبد الرحمن، عن يزيد بن خُصَيفة، عن السائب بن يزيد: أنَّ رجلاً قال لعمر ﷺ: إني مررت برجل يسأل عن تفسير مُشْكِلِ القرآن، فقال عمر: اللهم أَمكِنِّي منه. فدخل الرجل على عمر يوماً وهو لابسٌ ثياباً وعِمامة، وعمرُ يقرأ القرآن، فلما فرغ، قام إليه الرجل فقال: يا أمير المؤمنين، ما «الذَّارِيَاتِ ذَرْواً»، فقام عمر، فحسر عن ذراعيه وجعل يَجلده، ثم قال: ألبسوه ثيابه واحمِلوه على قَتَب، وابلغوا به حَيَّه، ثم ليقم خطيباً فليقل: إن صَبيغاً طَلَبَ العلم فأخطأه. فلم يزل وضيعاً في قومه بعد أن كان سيِّداً فيهم(٣).

وعن عامر بن واثلة: أنَّ ابن الكوَّاءِ سأل عليّاً ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين، ما «الذَّارِيَاتِ ذَرْواً»، فقال له: ويلَك! سَلْ تَفقُّهاً، ولا تسأل تَعَنُّتاً؛ «وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً»: الرياح، «فَالْحَامِلَاتِ وِقْراً»: السَّحاب، «فَالْجَارِيَات يُسْراً»: السُّفُن، «فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمراً»: الملائكة(٤).

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٧١ ، وزاد المسير ٨/ ٢٧ .

(٢) الوسيط للواحدي ٤/ ١٧٣ ، وتفسير البغوي ٤/ ٢٢٨ ، والكشاف ٤/ ١٣ .

(٣) ذكره ابن حجر في الإصابة ٥/ ١٦٩ . وقد سلف من وجه آخر ٥/ ٢٣ - ٢٤ .

(٤) سلف ١/ ٦١ بنحوه.

وروى الحارث عن عليٍّ ﷺ: «وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً» قال: الرياح، «فَالْحَامِلَاتِ وِقْراً» قال: السحاب تَحمِل الماء كما تحمل ذواتُ الأربع الوِقْر، «فَالْجارِيَاتِ يُسْراً» قال: السفن، وقوله[١]: «فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً» قال: الملائكة تأتي بأمرٍ مختلف؛ جبريلُ بالغلظة، وميكائيلُ صاحب الرحمة، ومَلَكُ الموت يأتي بالموت. وقاله[٢] الفراء.

وقيل: تأتي بأمر مختلف من الخِصب والجَدْب والمطر والموت والحوادث.

ويقال: ذَرَتِ الرِّيحُ الترابَ تَذْرُوه ذَرْواً، وتَذْرِيه ذَرْياً[٣].

ثم قيل: «وَالذَّارِيَاتِ» وما بعده أَقسام، وإذا أَقسمَ الربُّ بشيءٍ أَثبتَ له شرفاً. وقيل: المعنى: وربِّ الذارياتِ[٤]، والجواب: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ أي: الذي توعدونه من الخير والشرِّ والثوابِ والعقاب ﴿لَصَادِقٌ﴾: لا كَذِبَ فيه؛ ومعنى «لَصَادِقٌ»: لَصِدْق، وقع الاسمُ موقعَ المصدر. ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ يعني: الجزاءُ نازلٌ بكم. ثم ابتدأ قَسَماً آخَرَ فقال: «وَالسَّمَاء ذَاتِ الْحُبُكِ. إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ».

وقيل: إنّ الذارياتِ النساءُ الوَلودات؛ لأن في ترائبهنَّ[٥] ذَرْوَ الخَلْق؛ لأنهنَّ يَذرين الأولاد، فصِرنَ ذاريات، وأَقسمَ بهنَّ لِمَا في ترائبهنَّ مِن خِيرَةِ عبادِه الصالحين. وخصَّ النساءَ بذلك دون الرجال وإنْ كان كلٌّ واحدٍ منهما ذارياً؛ لأمرين: أحدهما: لأنهن أوعيةٌ دون الرجال، فلاجتماع الذَّرْوَيْن فيهنَّ خُصِّصنَ بالذِّكر. الثاني: أنَّ الذَّرْوَ فيهنَّ أطولُ زماناً[٦]، وهنَّ بالمباشرة أقربُ عهداً.

---

(١) في (ز): وقراءة، بدل: وقوله، وفي (م): موقرة. والمثبت من باقي النسخ.

(٢) في (ز) و(م): وقال. وكلام الفراء في معاني القرآن ٣/ ٨٢ دون نسبة.

(٣) في (ف) و(ق): وأذرته تذريه ذرياً، وفي (ظ): وأذرته تذريه وذرياً، وفي (ز): وأذرته ذرياً، والمثبت من (م). وقد قال الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٥١ : ذرت الريح وأذرت، بمعنى واحد وبنحوه في تفسير الطبري ٢١/ ٤٧٩ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٣٥ ، وتفسير البغوي ٤/ ٢٢٨ ، وزاد المسير ٨/ ٢٧ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥١ ، وتفسير أبي الليث ٣/ ٢٧٥ .

(٥) في (ظ) و(م): ذرايتهن، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٥/ ٣٦٠ ، والكلام منه.

(٦) في (ز) و(ف): لطول زمان، وفي (ظ) و(ق): أطول زمان. والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٥/ ٣٦١ .

﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾: السحاب. وقيل: الحاملات من النساء إذا ثَقُلْنَ بالحَمل. والوِقْر، بكسر الواو: ثقل الحِمل على ظهر أو في بطن[١]، يقال: جاء يحمل وِقْرَه، وقد أَوْقَرَ بعيرَه. وأكثرُ ما يستعمل الوِقْرُ في حِمْل البغلِ والحمار، والوَسْقُ في حِمْل البعير. وهذه امرأةٌ مُوقَرة ـ بفتح القاف ـ إذا حملت حَمْلاً ثقيلاً. وأوقرت النخلة: كَثُرَ حَمْلُها؛ يقال: نخلةٌ موقِرة ومُوقِر ومُوقَرة، وحُكي: مُوقَر، وهو على غير القياس، لأن الفعل [ليس] للنخلة. وإنما قيل: مُوقِر ـ بكسر القاف ـ على [قياس] قولِك: امرأةٌ حامل، لأن حمل الشجر مشَبَّهٌ بحمل النساء؛ فأما مُوقَر ـ بالفتح ـ فشاذّ، وقد روي في قول لبيدٍ يصف نخيلاً:

عُصَبٌ كَوارِعُ في خليجِ مُحَلِّمٍ حَمَلَتْ فمنها مُوقَرٌ مَكْمُومُ

والجمع: مَوَاقِر. فأما الوَقْر ـ بالفتح ـ فهو ثقل الأذن، وقد وَقِرَت أُذُنُه تَوْقَر وَقْراً، أي: صَمَّت، وقياسُ مصدرِه التحريك، إلَّا أنه جاء بالتسكين[٢]. وقد تقدَّم في «الأنعام» القولُ فيه[٣].

﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا﴾: السفن تجري بالرياح يُسراً إلى حيث سُيِّرت. وقيل: السحاب؛ وفي جريها يُسْراً على هذا القول وجهان: أحدهما: إلى حيث يسيِّرها اللهُ تعالى من البلاد والبقاع. الثاني: هو سهولة تسييرها؛ وذلك معروفٌ عند العرب، كما قال الأعشى:

كأنَّ مِشْيَتَها مِنْ بيتِ جارتِها مَشْيُ السَّحَابةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ[٤]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الصحاح (وقر) وما بين حاصرتين منه، والبيت في شرح ديوان لبيد ص١٢٠، والرواية فيه: نخل كوارع... قال شارحه: شبه الظعائن بالنخل. كوارع: أراد اللواتي في الماء. محلَّم: نهر بالبحرين، وخليجه ما اختلج منه. مكموم: مغطى بالكمامة من برد أو داء..

(٣) ٨/ ٣٤٥.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٣٦١. وسلف البيت ١٦/ ١٦.

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ قيل: المراد بالسماء هاهنا السُّحُب[١] التي تُظِلُّ الأرض. وقيل: السماء المرفوعة[٢]. ابنُ عمر: هي السماء السابعة؛ ذكره المهدويُّ والثعلبيُّ والماورديُّ وغيرهم[٣].

وفي «الْحُبُكِ» أقوالٌ سبعة:

الأول: قال ابن عباس وقتادة ومجاهدٌ والربيع: ذات الخَلْقِ الحَسَنِ المستوي. وقاله عكرمة[٤]؛ قال: ألم ترَ إلى النَّسَّاج إذا نسج الثوب فأجاد نَسْجَه؛ يقال منه: حَبَك الثوبَ يَحبِكُه ـ بالكسر ـ حَبْكاً، أي: أجاد نَسْجَه. قال ابن الأعرابي: كلُّ شيءٍ أحكمتَه وأحسنتَ عملَه فقد احتبكتَه[٥].

الثاني: ذات الزينة؛ قاله الحسن وسعيد بنُ جبير.

وعن الحسن أيضاً: ذات النجوم. وهو الثالث.

الرابع: قال الضحاك: ذات الطرائق؛ يقال لِمَا تراه في الماء والرمل إذا أصابته الريح: حُبُك[٦]. ونحوُه قول الفراء[٧]؛ قال: الحُبُك: تَكَسُّر كلِّ شيءٍ، كالرمل إذا مرَّت به الريحُ الساكنة، والماءُ القائم إذا مرت به الريح، ودرع الحديد لها حُبُك،

---

(١) في النسخ الخطية: السحاب، والمثبت من (م)، والقول في النكت والعيون ٥/ ٣٦٢ . والسحاب والسحب والسحائب: جمع سحابة. الصحاح (سحب).

(٢) قال الماوردي في النكت والعيون: وهو المشهور.

(٣) قول ابن عمر أخرجه الطبري ٢١/ ٤٨٩ - ١٩٠ .

(٤) أخرج هذه الآثار ـ عدا قول الربيع ـ الطبري ٢١/ ٤٨٦ - ٤٨٩ .

(٥) الصحاح (حبك).

(٦) أخرج هذه الآثار ـ عدا قول الحسن الأول ـ الطبري ٢١/ ٤٨٧ ، ٤٨٩ .

(٧) في معاني القرآن ٣/ ٨٢ .

والشعرة الجَعْدة تكسُّرها حُبُك. وفي حديث الدجَّال: «إنَّ شعره حُبُك حُبُك»[١]. قال زهير:

مُكلَّلٌ بأصول النَّجمِ تَنسِجُهُ ... ريحٌ خَريقٌ لضاحي مائه حُبُكُ[٢]

ولكنها تَبْعُد من العباد فلا يرونها.

الخامس: ذات الشِّدَّة، قاله ابن زيد، وقرأ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢][٣]. والمحبوك: الشديد الخَلْق من الفرس وغيره[٤]، قال امرؤ القيس:

قد غدا يَحْمِلُني في أنْفهِ ... لاحِقُ الإطْلَيْنِ مَحبُوكٌ مُمَرْ[٥]

وقال آخَر[٦]:

مَرِجَ الدِّينُ فأعددتُ لهُ ... مُشْرِفَ الحارِكِ مَحبُوكَ الكَتَدْ

وفي الحديث: أنَّ عائشة رضي الله عنها كانت تحتبك تحت الدِّرْع في الصلاة؛ أي: تَشُدُّ الإزار وتُحْكمه[٧].

السادس: ذات الصَّفَاقة؛ قاله خُصَيف[٨]، ومنه: ثوبٌ صَفِيق ووجه صَفِيق: بَيِّنُ الصَّفاقة[٩].

---

(١) الصحاح (حبك). والخبر قطعة من حديث عقبة بن عامر ﷺ أخرجه أحمد (١٦٢٦٠) عنه بلفظ: «إن راس الدجال من ورائه حُبُك حُبُك...».

(٢) شرح ديوان زهير ص ١٧٦. قال شارحه: قال الأصمعي: النجم: النبت الذي يقال له: النَّيْل. وقال غيره: الماء مكلَّل بالنجم، وهو كل شيء من النبات ليس له ساق ينبت حول الماء كالإكليل. ويقال: نَجَمَ البقل: إذا طلع. ريح خريق، يقال: هبت الشمال خريقاً: إذا هبت هبوباً شديداً. لضاحي مائه: ما ضحا للشمس من الماء، ضحي يضحى ضحىً، وضَحَى يضحى: برز للشمس.

(٣) أخرجه الطبري ٢١/ ٤٨٩.

(٤) الصحاح (حبك).

(٥) ديوانه ص١٤٦. وهو في وصف الغيث. قال شارحه: يحملني في أنفه: أي في أول هذه المطرة. لاحق الإطلين: يعني فرساً ضامر الكشحين. والمحبوك: المدمج الخلق، الشديد. والممر نحوه في المعنى.

(٦) هو أبو دؤاد، وسلف ص٤٣٠ من هذا الجزء.

(٧) الصحاح (حبك). والحديث أخرجه البيهقي ٢/ ٢٣٥.

(٨) النكت والعيون ٥/ ٣٦٢.

(٩) الصحاح (صفق) وقوله: ثوب صَفِيق، أي: كثير الغزل. ووجه صَفيق، أي: وقح. القاموس (صفق).

السابع: أنَّ المراد بالطُّرُق المَجرَّةُ التي في السماء؛ سمِّيت بذلك لأنها كأثر المَجرّ[١].

و«الْحُبُكُ» جمع حِبَاك، قال الراجز:

كأنَّما جَلَّلَها الحُوَّاكُ طِنْفِسَةً في وَشْيِها حِبَاكُ[٢]

والحِبَاك والحَبِيكة: الطريقة في الرَّمل ونحوه. وجمع الحِبَاك: حُبُك، وجمع الحَبِيكة: حَبائك[٣]، والحَبَكة مثل العَبَكة، وهي الحبَّة من السَّويق، عن الجوهري[٤].

وروي عن الحسن في قوله: «ذَاتِ الحُبُكِ»: «الحُبْك» و«الحِبْك» و«الحِبِك» و«الحِبُك»، و«الحُبُك» كالجماعة[٥]. وروي عن عِكرمة وأبي مِجْلَز: «الحُبَك»[٦].

و«الحُبُك» واحدتها حَبيكة؛ و«الحُبْك» مخفَّفٌ منه. و«الحَبَك» واحدتها حَبَكة[٧]. ومن قرأ: «الحُبَك» فالواحدة حُبْكَة، كبُرْقة وبُرَق، أو حُبُكة كظُلُمة وظُلَم. ومن قرأ: «الحِبِك» فهو كإبِل وإطِل. و«الحِبْك» مخفف منه. ومن قرأ: «الحِبُك» فهو شاذّ؛ ليس في كلام العرب فِعُلٌ، وهو محمولٌ على تداخل اللغات، كأنه كسر الحاء ليكسر

---

(١) ينظر الصحاح واللسان (جرر). والمَجَرّ: هو الخشبة المعترضة بين الحائطين توضع عليه أطراف العوارض.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٤٨٦، والنكت والعيون ٥/ ٣٦٢، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٢. والطنفسة: البساط، والنُّمْروقة فوق الرحل. المعجم الوسيط (طنفس).

(٣) وحُبُك أيضاً كما في معاني القرآن للفراء ٣/ ٨٢، وتفسير الطبري ٢١/ ٤٨٦، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٥٢. وسيذكره المصنف.

(٤) في الصحاح (حبك).

(٥) ضبطنا بالشكل القراءات الشاذة عن الحسن في هذا الحرف كما ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٧٢، حيث قيَّدها بالحروف، وذكر أن كسر الحاء وضم الباء فيها لغة غير متوجهة، وأنه ليس في كلام العرب هذا البناء.

(٦) المحتسب ٢/ ٢٨٦ دون ذكر أبي مجلز.

(٧) نسب ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٧٢ قراءة «الحَبَك» بفتح الحاء والباء لابن عباس رضي الله عنهما، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢٨ لابن مسعود وعكرمة.

الباء، ثم تصوَّر «الحُبُك» فضمَّ الباء. قال جميعَه المهدوي[١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ هذا جوابُ القسم الذي هو «والسَّمَاءِ»، أي: إنكم يا أهل مكة «فِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ» في محمد والقرآن، فمِن مصدِّق ومكذِّب[٢]. وقيل: نزلت في المقتسِمين[٣]. وقيل: اختلافهم قولُهم: ساحر، بل شاعر، بل افتراه، بل هو مجنون، بل هو كاهن، بل هو أساطير الأوَّلين[٤]. وقيل: اختلافهم أنَّ منهم مَن نَفَى الحشر، ومنهم مَن شكَّ فيه. وقيل: المراد عَبَدة الأوثان والأصنام؛ يُقِرُّون بأن الله خالقُهم ويعبدون غيره[٥].

قوله تعالى: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ أي: يُصرف عن الإيمان بمحمد والقرآنِ مَن صُرِف؛ عن الحسن وغيره[٦]. وقيل: المعنى: يُصرَف عن الإيمان مَن أراده بقولهم: هو سحر وكهانة وأساطير الأوَّلين[٧]. وقيل: المعنى: يُصرَف عن ذلك الاختلافِ مَن عصمه الله[٨].

أَفَكَه يَأْفِكُه أَفْكاً، أي: قَلَبه وصرفه عن الشيء؛ ومنه قولُه تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا﴾[٩] [الأحقاف: ٢٢].

وقال مجاهد: معنى «يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ»: يُؤفَن عنه من أُفِن، والأَفْن: فساد العقل[١٠].

---

(١) وهو بنحوه في المحتسب ٢/ ٢٨٦ - ٢٨٧ ، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) أخرج هذا القول بنحوه الطبري ٢١/ ٤٩٠ عن قتادة.

(٣) سيرد في تفسير الآية بعدها، وينظر ما سلف في تفسير الآية (٩٠) من سورة الحجر ١٢/ ٢٥٥-٢٥٦ .

(٤) أخرج هذا القول بنحوه الطبري ٢١/ ٤٩٠ عن ابن زيد.

(٥) النكت والعيون ٥/ ٣٦٣ .

(٦) أخرجه عن الحسن الطبري ٢١/ ٤٩١ .

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٣٦ بنحوه.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٣ بمعناه، وقال: وهذا وجه حسن لا يُخلُّ به، إلا أن عرف الاستعمال في «أفك» إنما هو في الصرف من خير إلى شر، وتأمل ذلك تجدها أبداً في المصروفين المذمومين.

(٩) الصحاح (أفك).

(١٠) النكت والعيون ٥/ ٣٦٣ ، وأخرجه الطبري ٢١/ ٤٩١ بنحوه.

الزمخشري[١]: وقرئ: «يُؤْفَنُ عَنْهُ مَنْ أُفِنَ» أي: يُحْرَمه من حُرم؛ مِن: أَفَنَ الضَّرْعَ، إذا أنهكه حَلْباً. وقال قُطْرُب: يُخدَع عنه من خُدِع. وقال اليزيدي: يُدفَع عنه من دُفِع[٢]. والمعنى واحد، وكلُّه راجعٌ إلى معنى الصرف.

قوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ في التفسير: لُعِن الكذَّابون[٣]. وقال ابن عباس: أي: قُتِل المرتابون؛ يعني الكهنة[٤]. وقال الحسن: هم الذين يقولون: لسنا نبعث. ومعنى «قُتِلَ» أي: هؤلاء ممن يجب أن يُدعى عليهم بالقتل على أيدي المؤمنين.

وقال الفرَّاء: معنى «قُتِلَ»: لُعِن؛ قال: و«الخَرَّاصُونَ»: الكذابون الذين يتخرَّصون بما لا يعلمون[٥]؛ فيقولون: إنَّ محمداً مجنون كذَّاب ساحر شاعر؛ وهذا دعاءٌ عليهم؛ لأن مَن لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك.

قال ابن الأنباري: علَّمَنا الدعاءَ عليهم، أي قولوا: «قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ». وهو جمع خارص، والخَرْص الكذب، والخَرَّاص الكذَّاب، وقد خَرَص يَخْرُص ـ بالضم ـ خَرْصاً، أي: كَذَب؛ يقال: خَرَص واختَرص، وخَلَقَ واختلَق، وبَشَك وابتَشك، وسَرَج واسترَج، ومان، بمعنى كذب؛ حكاه النحَّاس.

والخَرْص ـ أيضاً ـ حَزْر ما على النخل من الرُّطَب تمراً. وقد خَرَصتُ النخلَ، والاسم: الخِرْص، بالكسر؛ يقال: كم خِرْصُ نخلك[٦] والخَرَّاص الذي يخرُصها؛ فهو مشترك.

وأصل الخَرص القطع، على ما تقدَّم بيانُه في «الأنعام»[٧]. ومنه الخَرِيص

---

(١) في الكشاف ٤/ ١٥ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٣٦٣ .

(٣) نسبه في النكت والعيون ٥/ ٣٦٣ للحسن.

(٤) أخرجه الطبري ٢١/ ٤٩٢ بلفظ: لعن المرتابون.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٨٣ ، وزاد المسير ٨/ ٣٠ . بنحوه.

(٦) المثبت من (ق) وهو الموافق لما في الصحاح (خرص)، والكلام منه، وفي غيرها: خَرَص.

(٧) ٩/ ٧ .

للخليج؛ لأنه ينقطع إليه الماء، والخُرْصُ: حبَّة القُرْط إذا كانت منفردة؛ لانقطاعها عن أخواتها، والخُرصْ: العود؛ لانقطاعه عن نظائره بطيب رائحته. والخَرِص: الذي به جوع وبَرْد؛ لأنه ينقطع به، يقال: خَرِص الرجلُ ـ بالكسر ـ فهو خَرِص أي: جائع مقرور، ولا يقال للجوع بلا برد: خَرِص، ويقال للبرد بلا جوع: خَصَر[١]. والخُرص ـ بالضمِّ والكسر ـ الحَلْقة من الذهب أو الفضة، والجمع الخُرصان. ويدخل في الخَرْص قولُ المنجِّمين وكلِّ مَن يدَّعي الحَدْس والتخمين.

وقال ابن عباس: هم المقتسمون الذين اقتسموا عِقَابَ[٢] مكة، واقتسموا القولَ في نبيِّ اللهِ ﷺ؛ ليصرفوا الناسَ عن الإيمان به.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ الغمرة: ما سَتَرَ الشيءَ وغطَّاه. ومنه نهر غَمْر، أي: يَغْمُر مَن دخله، ومنه غَمَرات الموت. «سَاهُونَ» أي: لاهون غافلون عن أمر الآخرة.

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ أي: متى يومُ الحساب؛ يقولون ذلك استهزاءً وشَكّاً في القيامة[٣]. ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ نصب «يَوْمَ» على تقدير الجزاء، أي: هذا الجزاءُ «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» أي: يُحرَقون، وهو مِن قولهم: فتنت الذهب، أي: أحرقته لتختبره؛ وأصل الفتنة الاختبار. وقيل: إنه مبنيٌّ؛ بني لإضافته إلى غير متمكِّن، وموضعه نصبٌ على التقدير المتقدِّم، أو رفعٌ على البدل من «يَوْمُ الدِّينِ»[٤]. وقال الزجَّاج[٥]: تقول: يعجبني يومُ أنت قائم ويومُ أنت تقوم، وإن شئت فتحت، وهو في موضع رفع، فإنما انتصب هذا وهو في المعنى رفع.

---

(١) الصحاح (خرص).

(٢) في (ز) و(ظ) و(م): أعقاب، والمثبت من (ف) و(ق)، وهو بنحوه في تفسير أبي الليث ٣/ ٢٧٦، وتفسير البغوي ٤/ ٢٢٩.

(٣) الوسيط للواحدي ٤/ ١٧٤، وتفسير البغوي ٤/ ٢٢٩.

(٤) قرأ بالرفع ابن أبي عبلة كما في الكشاف ٤/ ١٥.

(٥) في معاني القرآن ٥/ ٥٢. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٣٧ - ٢٣٨، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٣.

وقال ابن عباس: «يُفْتَنُونَ»: يُعذَّبون[١]. ومنه قول الشاعر:

كلُّ امرِئٍ من عباد اللهِ مُضطَهِدٍ ببطن مكةَ مقهورٍ ومفتونِ[٢]

قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي: يقال لهم: ذوقوا عذابكم؛ قاله ابن زيد. مجاهد: حريقَكم. ابن عباس: أي: تكذيبكم[٣]. يعني جزاءكم. الفرَّاء[٤]: أي: عذابكم ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ في الدنيا. وقال: «هَذَا»، ولم يقل: هذه؛ لأن الفتنة هنا بمعنى العذاب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ لمَّا ذكر مآلَ الكفار؛ ذَكَرَ مآلَ المؤمنين، أي: هم في بساتينَ؛ فيها عيونٌ جارية على نهاية ما يُنتزَّه به. ﴿ءَاخِذِينَ﴾ نصب على الحال. ﴿مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: ما أعطاهم من الثواب وأنواعِ الكرامات؛ قاله الضحَّاك[٥]. وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: «آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ» أي: عاملين بالفرائض[٦]. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ أي: قبل دخولهم الجنةَ في الدنيا ﴿مُحْسِنِينَ﴾ بالفرائض. وقال ابن عباس: المعنى: كانوا قبل أن تُفْرَضَ[٧] عليهم الفرائض محسنين في أعمالهم[٨].

---

(١) أخرجه الطبري ٢١/ ٤٩٥.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٣٦٤. وهو في قصيدة لعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي يذكر مهاجري الحبشة، كما في السيرة النبوية ١/ ٣٣٠ - ٣٣١، وقبله:

يا راكباً بلِّغَنْ عني مغلغلةً مَن كان يرجو بلاغ الله والدينِ

والمغلغلة: الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد. الصحاح (غلل).

(٣) أخرج هذه الآثار الطبري ٢١/ ٤٩٩ - ٥٠٠.

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٨٣.

(٥) النكت والعيون ٥/ ٣٦٥ بنحوه.

(٦) قول ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الطبري ٢١/ ٥٠١.

(٧) في (م): يفرض.

(٨) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٠١.

قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ معنى «يَهْجَعُونَ»: ينامون؛ والهُجُوع: النوم ليلاً، والتَّهْجاع: النومة الخفيفة؛ قال أبو قيس بن الأَسْلَت:

قد حصَّت البيضةُ رأسي فما أَطْعَمُ نوماً غيرَ تَهجاعِ[1]

وقال عمرو بنُ مَعْدي كَرِب يتشوَّق أختَه وكان أسرها الصِّمَّةُ أبو دُرَيد بنُ الصِّمَّة:

أَمِنْ رَيحانةَ الدَّاعي السَّميعُ يؤَرِّقني وأَصحابي هُجوعُ[2]

يقال: هَجَعَ يَهْجَع هُجوعاً، وهَبَغَ يَهْبَغ هُبوغاً، بالغين المعجمة: إذا نام؛ قاله الجوهريّ[3].

واختُلف في «ما»، فقيل: صلة زائدة، قاله إبراهيم النَّخَعيُّ، والتقدير: كانوا قليلاً من الليل يهجعون، أي: ينامون قليلاً من الليل ويصلُّون أكثرَه. قال عطاء: وهذا لمَّا أُمروا بقيام الليل. وكان أبو ذرٍّ يَحتجِز، ثم يأخذ العصا فيعتمد عليها، حتى نزلت الرُّخصة: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الآية[4].

وقيل: ليس «ما» صلة، بل الوقفُ عند قوله: «قَلِيلاً»، ثم تبتدئ «مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ». فـ «ما» للنفي، وهو نفيُ النوم عنهم البَتَّة[5]. قال الحسن: كانوا لا ينامون

---

(١) الصحاح (هجع). وسلف البيت ١١/ ٣٧٤.

(٢) وهناك رواية ثانية تقول: إن ريحانة امرأته المطلقة، كما في الأغاني ١٥/ ٢٢٥ - ٢٢٦، والخزانة ٨/ ١٨١ - ١٨٢. والبيت ـ أيضاً ـ في الأصمعيات ص١٧٢، والكامل ١/ ٢٦١.

(٣) في الصحاح (هبغ).

(٤) أخرج الأثرين ابن أبي شيبة ٢/ ٢٣٨.

(٥) وضعَّف هذا القول الشوكاني في فتح القدير ٥/ ٨٤، ورده ابن الأنباري في البيان ٢/ ٣٩٠ والزمخشري في الكشاف ٤/ ١٦ وقال: لأن «ما» النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، تقول: زيداً لم أضرب، ولا تقول: زيداً ما ضربت.

من الليل إلَّا أقلَّه، وربما نَشِطوا فجدُّوا إلى السَّحَر[١].

روي عن يعقوب الحضرميِّ أنه قال: اختلفوا في تفسير هذه الآية، فقال بعضهم: «كَانُوا قَلِيلاً» معناه: كان عددهم يسيراً، ثم ابتدأ فقال: «مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ»[٢]. قال ابن الأنباري[٣]: وهذا فاسد؛ لأن الآية إنما تدلُّ على قلَّة نومهم لا على قلَّة عددهم، وبعدُ فلو ابتدأنا «مِن اللَّيل ما يهجعون» على معنى: من الليل يهجعون، لم يكن في هذا مدحٌ لهم؛ لأن الناس كلَّهم يهجعون من الليل، إلَّا أن تكون «ما» جَحْداً.

قلت: وعلى ما تأوَّله بعضُ الناس ـ وهو قول الضحَّاك[٤] ـ من أنَّ عددهم كان يسيراً، يكون الكلام متصلاً بما قبلُ مِن قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ أي: كان المحسنون قليلاً، ثم استأنف فقال: ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[٥]. وعلى التأويل الأوَّلِ والثاني يكون «كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ» خطاباً مستأنفاً بعد تمام ما تقدَّمه، ويكون الوقف على «مَا يَهْجَعُونَ»، وكذلك إن جعلتَ «قَلِيلاً» خبرَ كان، وترفع «ما» بمعنى قليل[٦]؛ كأنه قال: كانوا قليلاً من الليل هجوعُهم. فـ«ما» يجوز أن تكون نافية، ويجوز أن تكون مع الفعل مصدراً، ويجوز أن تكون رفعاً على البدل من اسم كان، التقدير: كان هجوعهم قليلاً من الليل[٧]. وانتصابُ قوله: «قَلِيلاً» ـ إن قدَّرت «ما» زائدةً مؤكِّدة ـ بـ«يَهْجَعُونَ»، على تقدير: كانوا وقتاً قليلاً أو هجوعاً قليلاً يهجعون، وإن لم تقدِّر «ما» زائدة، كان قولُه: «قَلِيلاً» خبرَ كان، ولم يجز نصبُه بـ«يَهْجَعُونَ»؛ لأنه إذا قدِّر نصبه

---

(١) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٠٤ - ٥٠٥ .

(٢) بعدها في(م): على معنى من الليل يهجعون.

(٣) في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٠٦ ، وما قبله منه.

(٤) أخرج قوله الطبري ٢١/ ٥٠٧ .

(٥) بعدها في النسخ الخطية: وهو قول الضحاك.

(٦) في (م): بقليل، والمثبت من النسخ الخطية، وهو الموافق لما في الإيضاح لابن الأنباري ٢/ ٩٠٥ .

(٧) وهو بدل اشتمال كما في الدر المصون ١٠/ ٤٥ .

بـ«يَهْجَعُونَ» مع تقدير «ما» مصدراً، قدِّمتَ الصِّلَةَ على الموصول[١].

وقال أنسٌ وقتادة في تأويل الآية: أي: كانوا يصلُّون بين العشاءين: المغرب والعشاء[٢]. أبو العالية: كانوا لا ينامون بين العشاءين[٣]. وقاله ابن وَهْب. وقال مجاهد[٤]: نزلت في الأنصار؛ كانوا يصلُّون العشاءين في مسجد النبيِّ ﷺ، ثم يمضون إلى قُباء. وقال محمد بن عليِّ بن الحسين: كانوا لا ينامون حتى يصلُّوا العَتَمة[٥]. قال الحسن: كأنه عَدَّ هجوعَهم قليلاً في جنب يقظتهم للصلاة. وقال ابن عباس ومُطرِّف: قَلَّ ليلةٌ لا تأتي عليهم إلَّا يصلُّون لله فيها، إمَّا مِن أوَّلها، وإما من وسطها[٦].

الثانية: رُويَ عن بعض المتهجِّدين أنه أتاه آتٍ في منامه، فأنشده:

وكيف تنامُ الليلَ عينٌ قريرةٌ ولم تَدرِ في أيِّ المجالِس تنزِلُ

وروِيَ عن رجل من الأزد أنه قال: كنت لا أنام الليل، فنمت في آخر الليل، فإذا أنا بشابَّين أحسن ما رأيت، ومعهما حُلَل، فوقفا على كلِّ مصلٍّ، وكسواه حُلَّة، ثم انتهيا إلى النِّيام فلم يكسوهم، فقلت لهما: اكسواني من حُللكما هذه، فقالا لي: إنها ليست حُلَّةَ لباس، إنما هي رضوانُ الله يَحُلُّ على كل مصلٍّ.

ويُروى عن أبي خَلَّادٍ أنه قال: حدَّثني صاحبٌ لي قال: بينما أنا نائمٌ ذات ليلة إذ مُثِّلت لي القيامة، فنظرت إلى أقوام من إخواني قد أضاءت وجوهُهم، وأشرقت

---

(١) الكلام بنحوه في البيان ٢/ ٣٨٩ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٨٦ - ٦٨٧ .

(٢) أخرجه أبو داود (١٣٢١) و(١٣٢٢) من طريق قتادة عن أنس ﷺ.

(٣) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٠٣ .

(٤) كلمة: مجاهد، ليست في النسخ الخطية.

(٥) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٠٢ .

(٦) ذكر قولهما الواحدي في الوسيط ٤/ ١٧٥ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٢٣٠ . وأخرج الطبري ٢١/ ٥٠٢ قول مطرف.

ألوانهم، وعليهم الحُلَلُ من دون الخلائق، فقلت: ما بال هؤلاء مكتسون والناسُ عُراة، ووجوههُم مشرِقةٌ ووجوه الناس مغبرَّة! فقال لي قائل: الذين رأيتهم مكتسون[١] فهم المصلُّون بين الأذان والإقامة، والذين وجوهُهم مشرقة فأصحابُ السهر والتهجُّد، قال: ورأيت أقواماً على نجائب، فقلت: ما بال هؤلاء ركباناً والناسُ مشاة حفاة؟ فقال لي: هؤلاء الذين قاموا على أقدامهم تقرُّباً إلى الله تعالى، فأعطاهم الله بذلك خيرَ الثواب؛ قال: فصحت في منامي: واهاً للعابدين، ما أشرفَ مقامَهم! ثم استيقظت من منامي وأنا خائف.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: مدحٌ ثان؛ أي: يستغفرون من ذنوبهم، قاله الحسن[٢]. والسَّحَر وقتٌ يُرجى فيه إجابةُ الدعاء. وقد مضى في «آل عمران» القولُ فيه[٣].

وقال ابن عمر ومجاهد: أي: يصلُّون وقت السَّحَر؛ فسمَّوا الصلاةَ استغفاراً. وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ مَدُّوا الصلاةَ من أوَّل الليلِ إلى السَّحَر، ثم استغفروا في السحر[٤].

ابن وهب: هي في الأنصار؛ يعني أنهم كانوا يغدون من قُباء، فيصلُّون في مسجد النبيِّ ﷺ. ابن وَهْب، عن ابن لَهِيعة، عن يزيد بن أبي حبيب قال: كانوا يَنْضَحون لناسٍ من الأنصار بالدِّلاء على الثمار، ثم يهجعون قليلاً، ثم يصلُّون آخرَ الليل.

الضحَّاك: صلاة الفجر.

وقال الأحنف بن قيس: عَرَضْتُ عملي على أعمال أهل الجنة؛ فإذا قومٌ قد

---

(١) كذا في النسخ.

(٢) النكت والعيون ٥/٣٦٦ بنحوه.

(٣) ٥/٥٩.

(٤) أخرج أقوالهم الطبري ٢١/٥٠٥، ٥١٠.

باينونا بَوْناً بعيداً لا نبلغ أعمالهم؛ «كانوا قليلاً من اللَّيل ما يهجعون». وعرضتُ عملي على أعمال أهل النار، فإذا قومٌ لا خير فيهم، يكذِّبون بكتاب الله، وبرسوله، وبالبعث بعد الموت، فوجدنا خيرَنا منزلةً قوماً خلطوا عملاً صالحاً وآخَرَ سيِّئاً.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ مدحٌ ثالث. قال محمد بن سِيرين وقتادة: الحقُّ هنا الزكاةُ المفروضة. وقيل: إنه حقٌّ سوى الزكاة؛ يَصِل به رَحِماً، أو يَقري به ضيفاً، أو يَحْمل به كَلّاً، أو يُغني به محروماً. وقاله ابن عباس[١]؛ لأن السورة مكِّية، وفُرضت الزكاة بالمدينة[٢].

ابن العربي[٣]: والأقوى في هذه الآيةِ أنها الزكاة؛ لقوله تعالى في سورة «سأل سائل»: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٥] والحقُّ المعلوم هو الزكاة التي بيَّن الشرعُ قَدْرَها وجنسها ووقتها، فأمَّا غيرُها لمن يقول به، فليس بمعلوم؛ لأنه غيرُ مقدَّرٍ ولا مجنَّس ولا موقَّت.

الخامسة: قوله تعالى: «لِلسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ»؛ السائل الذي يسأل الناس لفاقته؛ قاله ابن عباس وسعيد بن المسيّب وغيرهما. والمَحرُومِ الذي حُرم المال. واختُلف في تعيينه؛ فقال ابن عباس وسعيد بن المسيّب وغيرهما: المحروم المُحارَف الذي ليس له في الإسلام سهم[٤]. وقالت عائشة رضي الله عنها: المحروم المُحارَف الذي لا يتيسَّر له مكسبُه[٥]؛ يقال: رجل مُحارَف ـ بفتح الراء ـ أي: محدود محروم، وهو خلافُ قولك: مُبارَك. وقد حورف كسبُ فلان: إذا شُدِّد عليه في معاشه؛ كأنه مِيلَ برزقه عنه[٦]. وقال قتادة والزُّهري: المحروم المتعفِّف الذي لا يسأل الناس شيئاً،

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٣٦٦.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٥.

(٣) في أحكام القرآن ٤/ ١٧١٨.

(٤) أخرج قولهم الطبري ٢١/ ٥١١ - ٥١٤.

(٥) النكت والعيون ٥/ ٣٦٦.

(٦) الصحاح (حرف).

ولا يُعلم بحاجته. وقال الحسن ومحمد ابن الحنفية: المحروم الذي يجيء بعد الغنيمة وليس له فيها سهم(١).

روي أنَّ النبيَّ ﷺ بعث سَرِيَّة، فأصابوا وغَنِموا، فجاء قومٌ بعد ما فرغوا، فنزلت هذه الآية: «وَفِي أَمْوَالِهِمْ»(٢).

وقال عِكرمة: المحروم الذي لا يبقى له مال(٣). وقال زيد بن أسلم: هو الذي أُصيب ثمرُه أو زرعه أو نسل ماشيته. وقال القُرَظيّ: المحروم الذي أصابته الجائحة، ثم قرأ: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾(٤) [الواقعة: ٦٧] نظيرُه في قصة أصحاب الجنةِ حيث قالوا: «بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ» [القلم: ٢٧].

وقال أبو قِلابة: كان رجلٌ من أهل اليمامة له مال، فجاء سيلٌ فذهب بماله، فقال رجل من الصحابة: هذا المحروم، فاقسموا له(٥).

وقيل: إنه الذي يطلب الدنيا وتُدبِر عنه. وهو يُروَى عن ابن عباسٍ أيضاً. وقال عبد الرحمن بن حُمَيد: المحروم المملوك. وقيل: إنه الكلب؛ روي أنَّ عمر بنَ عبد العزيز كان في طريق مكة، فجاء كلب، فانتزع عمر رحمه الله كَتِفَ شاةٍ، فرمى بها إليه وقال: يقولون إنه المحروم. وقيل: إنه من وجبت نفقته بالفقر من ذوي الأنساب؛ لأنه قد حُرِم كسبَ نفسه حتى وجبت نفقتُه في مال غيره(٦).

وروى ابن وَهْب عن مالك: أنه الذي يُحرَم الرزق(٧)، وهذا قولٌ حسن؛ لأنه

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٣٦٦ دون ذكر الزهري. وأخرج قوله وقول قتادة الطبريُّ ٢١/ ٥١٤ - ٥١٥ .

(٢) أخرجه أبو عبيد في الأموال (١٧٥٦)، والطبري ٢١/ ٥١٥ - ٥١٦ عن الحسن بن محمد ابن الحنفية، وهو مرسل.

(٣) أخرجه الطبري ٢١/ ٥١٧ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٣١ بنحوه. وقول زيد بن أسلم أخرجه الطبري ٢١/ ٥١٧ .

(٥) أخرجه الطبري ٢١/ ٥١٣ بنحوه.

(٦) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧١٨ .

يَعمُّ جميع الأقوال.

وقال الشعبي: لي اليوم سبعون سنةً منذ احتلمت أسأل عن المحروم، فما أنا اليومَ بأعلمَ مني فيه يومئذ. رواه شعبة عن عاصم الأحول، عن الشعبي[١].

وأصله في اللغة: الممنوع؛ من الحرمان وهو المنع. قال علقمة[٢]:

ومُطْعَمُ الغُنْمِ يومَ الغُنْمِ مُطْعَمُهُ أَنَّى توجَّه والمحرومُ محرومُ

وعن أنس أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ويلٌ للأغنياء من الفقراء يوم القيامة؛ يقولون: ربَّنا ظلمونا حقوقَنا التي فرضتَ لنا عليهم، فيقول الله تعالى: وعزَّتي وجلالي لأُقرِّبنَّكم ولأُبْعِدنَّهم». ثم تلا رسولُ الله ﷺ: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ ذكره الثعلبي[٣].

قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ﴾ لمَّا ذَكَر أمر الفريقين، بيَّن أنَّ في الأرض علاماتٍ تدلُّ على قدرته على البعث والنشور، فمنها: عَوْدُ النبات بعد أن صار هشيماً، ومنها: أنه قدَّر الأقوات فيها قِواماً للحيوانات، ومنها: سيرُهم في البلدان التي يشاهدون فيها آثارَ الهلاك النازلِ بالأمم المكذِّبة. والموقنون: هم العارفون المحقِّقون وحدانيَّةَ ربِّهم، وصِدْقَ نبوَّةِ نبيِّهم؛ خصَّهم بالذِّكْر لأنهم المنتفعون بتلك الآياتِ وتدبُّرِها.

قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ قيل: التقدير: وفي الأرض وفي أنفسكم آياتٌ للموقنين. وقال قتادة: المعنى: مَن سار في الأرض رأى آياتٍ وعِبَراً، ومَن

---

(١) بنحوه في زاد المسير ٨/ ٣٣، وأخرج الطبري ٢١/ ٥١٨ من طريق ابن علية، عن ابن عون، عن الشعبي قال: أعياني أن أعلم ما المحروم.

(٢) هو علقمة الفحل، والبيت في ديوانه ص٦٦، وسلف ١٠/ ٥.

(٣) وأخرجه الطبراني في الصغير (٦٩٣)، والأوسط (٤٨١٠). قال الهيثمي في المجمع ٣/ ٦٢: فيه الحارث بن النعمان، وهو ضعيف.

تفكَّر في نفسه علم أنه خُلق ليعبُدَ الله. ابنُ الزبير ومجاهد: المراد سبيلُ الخلاء والبول[١]. وقال السائب بن شريك: يأكل ويشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين؛ ولو شرب لبناً مَحْضاً لخرج منه الماءُ ومنه الغائط؛ فتلك الآيةُ في النفس. وقال ابن زيد: المعنى: أنه خلقكم من تراب، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]. السدي: «وفي أَنْفُسِكُم» أي: في حياتكم وموتكم، وفيما يدخل ويخرج من طعامكم. الحسن: في الكِبَر بعد الشباب، والضَّعف بعد القوَّة، والشيبِ بعد السواد[٢]. وقيل: المعنى: وفي خلق أنفسِكم من نطفة، وعلقة، ومضغة، ولحم، وعظم، إلى نفخ الروح، وفي اختلاف الألسنة والألوان والصُّوَر، إلى غير ذلك من الآيات الباطنة والظاهرة[٣]. وحسبُك بالقلوب وما رُكز[٤] فيها من العقول، وخُصَّت به من أنواع المعاني والفنون، وبالألسن والنُّطق ومخارج الحروف والأبصار والأطراف وسائر الجوارح، وتأتِّيها لما خُلِقت له، وما سُوِّيَ في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثنِّي، فإنه إذا جَسَا[٥] شيءٌ منها جاء العَجْز، وإذا استرخى أناخ الذُّلّ، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ يعني: بصرَ القلب ليَعرفوا كمالَ قدرته.

وقيل: إنه نُجْحُ العاجز، وحرمان الحازم[٦].

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٣٦٧، وقول ابن الزبير أخرجه الطبري ٢١/ ٥١٩.

(٢) ذكر هذه الأقوال ـ عدا قول السائب ـ الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٦٧. وقول ابن زيد أخرجه الطبري ٢١/ ٥١٩ - ٥٢٠.

(٣) ذكره بنحوه مختصراً البغوي في تفسيره ٤/ ٢٣١، والواحدي في الوسيط ٤/ ١٧٦ ونسباه لابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في النسخ الخطية: ذكر، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في الكشاف ٤/ ١٦ - ١٧، والكلام منه.

(٥) أي: صَلُبَ. القاموس (جسو).

(٦) هذا أحد الأقوال في تفسير قوله: وفي أنفسكم أفلا تبصرون، كما ذكر الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٦٧.

قلت: كلُّ ما ذُكر مرادٌ في الاعتبار. وقد قدَّمنا في آية التوحيد من سورة البقرة أنَّ ما في بدن الإنسان ـ الذي هو العالَم الصغير ـ شيءٌ إلَّا وله نظيرٌ في العالَم الكبير، وذكرنا هناك من الاعتبار ما يكفي ويُغني لمن تدبَّر[١].

قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قال سعيد بن جبير والضحَّاك: الرِّزق هنا ما ينزل من السماء من مطر وثلج يَنْبت به الزرعُ ويحيا به الخلق[٢]. قال سعيد بن جبير: كلُّ عين قائمةٍ فإنها من الثلج. وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه: فيه واللهِ رزقُكم، ولكنكم تُحرَمونه بخطاياكم[٣].

وقال أهل المعاني: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ معناه: وفي المطر رزقكم؛ سُمِّي المطرُ سماءً؛ لأنه من السماء ينزل. قال الشاعر[٤]:

إذا سقطَ السماءُ بأرض قومٍ رعيناهُ وإنْ كانوا غِضَابا

وقال ابن كَيْسان: يعني: وعلى ربِّ السماءِ رزقُكم؛ نظيرُه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦]. وقال سفيان الثوريّ: «وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ» أي: عند الله في السماء رزقكم. وقيل: المعنى: وفي السماء تقديرُ رزقكم، وما فيه لكم مكتوبٌ في أُمِّ الكتاب[٥].

وعن سفيان ـ أيضاً ـ قال: قرأ واصل الأحدب[٦]: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ فقال: أَلَا أرى رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض! فدخل خَرِبة، فمكث ثلاثاً لا يصيب

---

(١) ٢/ ٥٠٤ - ٥٠٦.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٣٦٧. وأخرجه عنهما الطبري ٢١/ ٥٢٠ - ٥٢١ مختصراً.

(٣) الكشاف ٤/ ١٧. وأخرج قولهما الطبري ٢١/ ٥٢٠ - ٥٢١.

(٤) هو معاوية بن مالك (معوِّد الحكماء)، وسلف البيت ١/ ٣٢٧.

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٦٨.

(٦) هو واصل بن حَيَّان الأحدب الأسدي الكوفي. مات سنة ١٢٠ أو ١٢٩. تهذيب التهذيب ٤/ ٣٠١.

شيئاً، فإذا هو في الثالثة بدَوْخَلةِ رُطَب[١]، وكان له أخٌ أحسنُ نيَّةً منه، فدخل معه، فصارتا دوخلتين، فلم يزل ذلك دأبَهما حتى فرَّق اللهُ بالموت بينهما[٢].

وقرأ ابن محيصن ومجاهد: «وفي السَّماءِ رازِقُكُمْ» بالألف[٣]، وكذلك في آخرها: «إنَّ اللهَ هو الرَّازِقُ».

﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قال مجاهد: يعني من خير وشر. وقال غيره: من خير خاصة. وقيل: الشر خاصة. وقيل: الجنة؛ عن سفيان بن عيينة[٤]. الضحَّاك: «وَمَا تُوعَدُونَ» من الجنة والنار[٥]. وقال ابن سيرين: «وَمَا تُوعَدُونَ» من أمر الساعة. وقاله الربيع[٦].

قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ أكَّد ما أخبرهم به من البعث وما خلق في السماء من الرزق، وأقسم عليه: إنَّه لَحقٌّ، ثم أكَّده بقوله: ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾. وخصَّ النُّطقَ من بين سائر الحواسّ؛ لأن ما سواه من الحواسِّ يدخله الشبيه[٧]، كالذي يُرى في المرآة، واستحالةِ الذوق عند غلبة الصفراء ونحوها، والدَّويِّ والطنين في الأذن، والنطقُ سالمٌ من ذلك، ولا يُعتَرض بالصَّدَى؛ لأنه لا يكون إلَّا بعد حصول الكلام من الناطق غيرَ مَشُوبٍ بما يشكل به.

وقال بعض الحكماء: كما أنَّ كلَّ إنسان ينطِق بنفسه ولا يُمْكنه أن ينطق بلسان غيره، فكذلك كلُّ إنسان يأكل رزقه، ولا يمكنه أن يأكل رزق غيره[٨].

---

(١) الدَّوْخَلة؛ بتشديد اللام وتخفيفها: ما ينسج من الخُوص ويجعل فيه الرُّطَب، الصحاح (دخل).

(٢) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٢١ .

(٣) في القراءات الشاذة ص١٤٥ ، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٦ عن ابن محيصن.

(٤) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٢٣ عن سفيان الثوري. وأخرج قول مجاهد ٢١/ ٥٢٢ ، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٥) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٢٢ .

(٦) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٦٨ ، وقول ابن سيرين ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٧٦ .

(٧) في (ز) و(ف) و(م): التشبيه، والمثبت من (ظ).

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٣١ .

وقال الحسن: بلغني أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: «قاتل الله أقواماً أقسم لهم ربُّهم بنفسه ثم لم يصدِّقوه»[١] قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾.

وقال الأصمعي: أقبلتُ ذاتَ مرَّةٍ من مسجد البصرة، إذ طلع أعرابيٌّ جِلْفٌ جافٍ على قَعُود[٢] له، متقلِّداً سيفَه، وبيده قوسُه، فدنا وسلَّم، وقال: ممَّن الرجل؟ قلت: من بني أَصْمَع، قال: أنت الأصمعي؟ قلت: نعم. قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: من موضع يُتلَى فيه كلامُ الرحمن؛ قال: وللرحمن كلامٌ يتلوه الآدميون؟ قلت: نعم؛ قال: فاتْلُ عليَّ منه شيئاً؛ فقرأت: «وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً» إلى قوله: «وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ» فقال: يا أصمعيُّ حسبُك!! ثم قام إلى ناقته فنحرها وقطعها بجلدها، وقال: أعنِّي على توزيعها؛ ففرَّقناها على مَن أقبل وأدبر، ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وجعلهما تحت الرَّحل، وولَّى نحو البادية وهو يقول: «وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ»، فمقتُّ نفسي ولُمتُها. ثم حججتُ مع الرشيد، فبينما أنا أطوف، إذا أنا بصوت رقيق، فالتفت، فإذا أنا بالأعرابيِّ ناحلٌ مصفرّ، فسلَّم عليَّ وأخذ بيدي، وقال: أُتلُ عليَّ كلامَ الرحمن، وأجلسني وراء المقام، فقرأت: «وَالذَّارِيَاتِ»، حتى وصلت إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فقال الأعرابي: لقد وجدنا ما وعدنا ربُّنا حقّاً، وقال: هل غيرُ هذا؟ قلت: نعم؛ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ فصاح الأعرابيُّ وقال: يا سبحان الله! مَن الذي أغضب الجليلَ حتى حلف! ألم يصدِّقوه في قوله حتى ألجؤوه إلى اليمين؟ فقالها ثلاثاً وخرجتْ بها نَفْسُه[٣].

وقال يزيد بن مَرْثد[٤]: إنَّ رجلاً جاع بمكان ليس فيه شيء، فقال: اللهم رزقَكَ

---

(١) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٢٣.

(٢) القَعُود: بالفتح: البعير من الإبل، وهو البَكر حين يُركب، أي: يمكّن ظهره من الركوب. وأقلُّه سنتان إلى أن يثني، فإذا أثنى سمّي جملاً. الصحاح (قعد).

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب (١٣٣٧).

(٤) أبو عثمان الهمداني، الشامي الصنعاني، من صنعاء دمشق. تابعي، ذكره ابن حبان في الثقات. وكان كثير البكاء. تهذيب الكمال ٣٢/ ٢٣٩.

الذي وعدتني فأتني به؛ فشبع ورَوِي من غير طعامٍ ولا شراب.

وعن أبي سعيد الخدريِّ قال: قال النبيُّ ﷺ: «لو أنَّ أحدكم فرَّ من رزقه، لتَبعه كما يَتْبعه الموت» أسنده الثعلبي رحمه الله[١]،

وفي سنن ابنِ ماجه عن حَبَّة وسَوَاء ابنَي خالد قالا: دخلنا على النبيِّ ﷺ وهو يعالج شيئاً، فأعنَّاه عليه، فقال: «لا تيأسا من الرزق ما تهزَّزت رؤوسكما؛ فإنَّ الإنسان تلده أُمُّه أحمرَ ليس عليه قِشر، ثم يرزقه الله»[٢].

وروي أنَّ قوماً من الأعراب زرعوا زرعاً فأصابته جائحة، فحزنوا لأجله، فخرجت عليهم أعرابيَّةٌ فقالت: ما لي أراكم قد نكستم رؤوسَكم، وضاقت صدورُكم، هو ربُّنا والعالم بنا، رِزْقُنا عليه، يأتينا به من حيث شاء! ثم أنشأت تقول:

لو كان في صخرةٍ في البحر راسيةٍ ... صَمّا مُلَمْلَمةٍ مُلْسٍ[٣] نواحيها

رِزقٌ لنفسٍ بَرَاها الله لانفلقتْ ... حتى تؤدِّي إليها كُلَّ ما فيها

أو كان بين طباق السبعِ مسلكُها ... لَسهَّلَ الله في المرقَى مَراقيها

حتى تنالَ الذي في اللوح خُطَّ لها ... إنْ لم تَنلْه وإلَّا سوف يأتيها[٤]

قلت: وفي هذا المعنى قِصَّةُ الأشعريين حين أرسلوا رسولَهم إلى النبيِّ ﷺ،

---

(١) وأسنده ابن عدي في الكامل ٦/ ٢٠٤٥ من طريق فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد ﷺ. وقال: لفضيل أحاديث حسان، وأرجو أن لا بأس به.

(٢) سنن ابن ماجه (٤١٦٥)، وهو عند أحمد (١٥٨٥٥). قوله: تهززت رؤوسكما، أي: تحركت؛ كناية عن الحياة. قوله: أحمر، أي: كاللحم الذي لا قشر عليه، ويحتمل أن المراد بالقشر الثوب. وفي الزوائد: إسناده صحيح، وسلَّام بن شرحبيل ذكره ابن حبان في الثقات، ولم أر من تكلم فيه، وباقي رجال الإسناد ثقات. شرح سنن ابن ماجه للسندي ٢/ ٥٤١ .

(٣) في (م): ملساً. وقوله: ململمة، أي: مستديرة صلبة. الصحاح (لمم).

(٤) قال ابن حبان في روضة العقلاء ص١٥٤: أنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش، فذكر الأبيات.

وقال ابن عبد البر في بهجة المجالس ١/ ١٣٨: ومما يروى لعلي بن أبي طالب ﷺ، وفيه نظر، فذكر الأبيات.

فسمع قولَه تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ فرجع ولم يكلم النبيَّ ﷺ، وقال: ليس الأشعريون بأهونَ على الله من الدوابّ؛ وقد ذكرناه في سورة هود[١].

وقال لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ [لقمان:١٦]. وقد مضى في «لقمان»[٢].

وقد استوفينا هذا الباب في كتاب «قَمْع الحرص بالزهد والقناعة» والحمد لله.

وهذا هو التوكُّل الحقيقيُّ الذي لا يشوبه شيء، وهو فراغ القلب مع الربّ؛ رَزَقنا اللهُ إياه، ولا أحالنا على أحد سواه، بمَنِّه وكرمه.

قوله تعالى: ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ قراءة العامة: «مِثْلَ» بالنصب، أي: كمثل ما أنَّكم، فهو منصوبٌ على تقدير حذف الكاف، أي: كمثل نطقكم، و«ما» زائدة؛ قاله بعض الكوفيِّين[٣]. وقال الزجَّاج والفرَّاء: يجوز أن ينتصب على التوكيد، أي: لَحَقٌّ حقًّا مِثْلَ نطقكم[٤]؛ فكأنه نعتٌ لمصدر محذوف. وقول سيبويه: إنه مبني؛ بُني حين أُضيف إلى غير متمكِّن[٥]، و«ما» زائدة للتوكيد. المازني: «مِثْلَ» مع «ما» بمنزلة شيءٍ واحد، فبني على الفتح لذلك[٦]. واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ قال: ولأن مِن العرب مَن يجعل مِثْلاً منصوباً أبداً؛ فيقول: قال لي رجلٌ مثلَك، ومررت برجل مثلَك، نصب.

وقرأ أبو بكر وحمزة والكِسائيُّ والأعمش: «مِثلُ» بالرفع على أنه صفةٌ لحقّ[٧]؛

---

(١) ١١/ ٧٣ - ٧٤.

(٢) ١٦/ ٤٧٦ وما بعدها.

(٣) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٨٨ بنحوه. قال السمين الحلبي في الدر المصون ١٠/ ٤٩ : وفي هذا نظر، أيُّ حاجة إلى دخول الكاف ومثل تفيد فائدتها؟

(٤) المثبت من (ز)، وفي غيرها: نطقك، والكلام في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥٤ ، وللفراء ٣/ ٨٥ .

(٥) ذكر قوله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٤١ .

(٦) ذكر قوله أبو علي في الحجة ٦/ ٢١٨ ، ومكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٨٧ .

(٧) السبعة ص٦٠٩ ، والتيسير ص٢٠٣ . وهي عن الأعمش في معاني القرآن للفراء ٣/ ٨٥ ، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٦ .

لأنه نكرةٌ وإن أُضيف إلى معرفة، إذ لا يختصُّ بالإضافة؛ لكثرة الأشياءِ التي يقع بعدها التماثل بين المتماثلين. و«مِثْل» مضافٌ إلى «أَنْكُمْ»، و«ما» زائدة، ولا تكون مع ما بعدها بمنزلة المصدر؛ إذ لا فعل معها تكون معه مصدراً[١]. ويجوز أن تكون بدلاً من «لَحَقٌّ».

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ ذَكَرَ قصةَ إبراهيم عليه السلام ليبيِّنَ بها أنه أهلك المكذِّبَ بآياته كما فعل بقوم لوط.

«هَلْ أَتَاكَ» أي: ألم يأتك. وقيل: «هَلْ» بمعنى قد[٢]؛ كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]. وقد مضى الكلامُ في ضيف إبراهيم في «هود» و«الحجر»[٣].

﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ أي: عند الله[٤]؛ دليلُه قوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]. قال ابن عباس: يريد جبريل وميكائيل وإسرافيل[٥]؛ زاد عثمان بنُ مُحصِن[٦]: ورفائيل، عليهم الصلاة والسلام[٧]. وقال محمد بن كعب: كان جبريل

---

(١) الكلام بنحوه في الحجة ٦/ ٢١٦.

(٢) الوسيط للواحدي ٤/ ٧٧ عن ابن عباس ومقاتل.

(٣) ١١/ ١٥٧ فما بعد، ١٢/ ٢٢١ فما بعد.

(٤) الوسيط للواحدي ٤/ ١٧٧، والنكت والعيون ٥/ ٣٦٩، وتفسير البغوي ٤/ ٢٣٢، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٧، وزاد المسير ٨/ ٣٥.

(٥) الوسيط للواحدي ٤/ ١٧٧.

(٦) في (م): حصين، وهو خطأ. وعثمان بن محصن روى عن ابن عباس، مرسل. روى عنه نوح بن قيس الحداني. الجرح والتعديل ٦/ ١٦٧.

(٧) النكت والعيون ٥/ ٣٦٩، وأخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٥٤ (١١٠١٢).

ومعه تسعة[١]. وقال عطاء وجماعة: كانوا ثلاثة: جبريل، وميكائيل، ومعهما مَلَكٌ آخَر[٢]. قال ابن عباس: سمَّاهم مكرَمين لأنهم غيرُ مَدْعُوِّين[٣]. وقال مجاهد: سمَّاهم مكرمين لخدمة إبراهيمَ إياهم بنفسه[٤].

قال عبد الوهَّاب: قال لي علي بن عياض[٥]: عندي هريسة، ما رأيك فيها؟ قلت: ما أحسنَ رأيي فيها! قال: امضِ بنا؛ فدخلت الدار، فنادى الغلام، فإذا هو غائب، فما راعني إلَّا به ومعه القُمْقُمة والطَّسْت، وعلى عاتقه المِنْديل، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، لو علمتُ يا أبا الحسن أنَّ الأمر هكذا. قال: هَوِّن عليك؛ فإنك عندنا مُكرم، والمُكرم إنما يُخدم بالنفس؛ انظر إلى قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ تقدَّم في «الحجر»[٦]. ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ أي: عليكم سلام. ويجوز بمعنى: أمري سلام، أو: ردِّي لكم سلام[٧].

وقرأ أهل الكوفة إلَّا عاصماً: «سِلْمٌ» بكسر السين[٨].

﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أي: أنتم قومٌ منكرون، أي: غرباء لا نعرفكم[٩]. وقيل: لأنه رآهم على غير صورة البشر، وعلى غير صورة الملائكة الذين كان يعرفهم، فنكِرَهم،

---

(١) مجمع البيان ٢٧/ ١٥ .

(٢) ذكره في الكشاف ٤/ ١٧ دون نسبة.

(٣) في (ظ) و(م): مذعورين، وهو خطأ، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٢٣٢ .

(٤) النكت والعيون ٥/ ٣٦٩ ، وأخرجه الطبري ٢١/ ٥٢٥ بنحوه.

(٥) في (ز): قال لي عياض. وعلي بن عياض ذكره ابن عساكر في تاريخه ٥/ ١٦ فيمن روى عن أحمد بن عطاء الروذباري الصوفي، فقال: القاضي أبو الحسن علي بن عياض بن أحمد بن أيوب بن أبي عقيل الصوري.

(٦) ١٢/ ٢٢٢ .

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٤٣ بنحوه.

(٨) السبعة ص٣٣٧ ، والتيسير ص١٢٥ .

(٩) تفسير البغوي ٤/ ٢٣٢ .

فقال: «قَوْمٌ مُنْكَرُونَ»[١]. وقيل: أنكرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان. وقال أبو العالية: أنكر سلامهم في ذلك الزمانِ وفي تلك الأرض[٢]. وقيل: خافهم؛ يقال: أنكرته إذا خفته، قال الشاعر:

فأنكَرَتْني وما كان الذي نَكِرَتْ   مِن الحوادث إلَّا الشَّيبَ والصَّلَعا[٣]

قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ قال الزجَّاج[٤]: أي: عَدَلَ إلى أهله. وقد مضى في «والصافَّات»[٥]. ويقال: أراغ وارتاغ بمعنى طلب، وماذا تُرِيغ، أي: تريد وتطلب، وراغ[٦] إلى كذا، أي: مال إليه سِرًّا وحاد. فعلى هذا يكون راغ وأراغ لغتين بمعنى[٧].

﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ أي: جاء ضيفَه بعجل قد شواه لهم، كما في «هود»: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [الآية:٦٩]. ويقال: إنَّ إبراهيم انطلق إلى منزله كالمستخفي من ضيفه، لئلَّا يظهروا على ما يريد أن يتَّخذَ لهم من الطعام.

قوله تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾ يعني العجل. ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ قال قتادة: كان عامَّةُ مالِ إبراهيم البقر. واختاره لهم سميناً زيادةً في إكرامهم[٨]. وقيل: العِجل في بعض اللغات الشاة؛ ذكره القشيري. وفي الصحاح: العِجل ولد البقرة، والعِجَّوْل مثلُه، والجمع العَجاجيل، والأنثى عِجْلة، عن أبي الجرَّاح، وبقرة مُعْجِل: ذات عِجْل، وعِجْل قبيلةٌ من ربيعة.

قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي: أحسَّ منهم في نفسه خوفاً. وقيل: أضمر

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٣٧٠ .
(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٣٢ .
(٣) النكت والعيون ٥/ ٣٧٠ ، والبيت في ديوان الأعشى ص١٥١ ، وفيه كلام؛ سلف ١١/ ١٦٣ .
(٤) في معاني القرآن ٥/ ٥٤ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النكت والعيون ٥/ ٣٧٠ .
(٥) ١٨/ ٥٣ .
(٦) في النسخ: وأراغ، والمثبت من الصحاح وغيره.
(٧) لم نقف عليه في كتب اللغة.
(٨) النكت والعيون ٥/ ٣٧٠ ، وقول قتادة أخرجه الطبري ٢١/ ٥٢٦ .

لمَّا لم يَتحرَّموا بطعامه[١]. ومن أخلاق الناس أنَّ مَن تَحرَّم بطعام إنسانٍ أَمِنَه.

وقال عمرو بن دينار: قالت الملائكة: لا نأكل إلَّا بالثمن. قال: كلوا وأدُّوا ثمنه. قالوا: وما ثمنُه؟ قال: تسمُّون اللهَ إذا أكلتم، وتحمدونه إذا فرغتم. فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: لهذا اتخذك الله خليلاً. وقد تقدَّم هذا في «هود»[٢].

ولمَّا رأوا ما بإبراهيم من الخوف ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ وأعلموه أنهم ملائكةُ الله ورسلُه. ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ أي: بولد يولد له مِن سارة زوجتِه. وقيل: لمَّا أخبروه أنهم ملائكةٌ لم يصدِّقهم، فدَعَوا الله، فأحيا العجلَ الذي قرَّبه إليهم. وروى عون بن أبي شدَّاد: أنَّ جبريل مسح العجل بجناحه، فقام يدرج حتى لَحِقَ بأمه، وأُمُّ العجل في الدار[٣]. ومعنى «عَلِيم» أي: يكون بعد بلوغه مِن أولي العلم بالله وبدينه.

والجمهور على أنَّ المبشَّر به هو إسحاق. وقال مجاهدٌ وحده: هو إسماعيل، وليس بشيء؛ فإنَّ الله تعالى: يقول: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ [الصافات: ١١٢]. وهذا نصّ[٤].

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾ أي: في صيحة وضجَّة؛ عن ابن عباس وغيره. ومنه أُخذ صريرُ الباب، وهو صوته[٥]. وقال عكرمة وقتادة: إنها الرَّنَّة والتأوُّه[٦]. ولم يكن هذا الإقبالُ من مكان إلى مكان؛ قال الفرَّاء[٧]: وإنما هو

---

(١) الكشاف ٤/ ١٨، وقوله: يتحرموا بطعامه، أي: يحرم عليهم بسببه ما يريدون به من سوء.

(٢) ١١/ ١٦٦. وينظر النكت والعيون ٥/ ٣٧٠، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٧ - ١٧٨.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٣٧٠.

(٤) الكلام بنحوه في النكت والعيون ٥/ ٣٧١، والكشاف ٤/ ١٨، والمحرر الوجيز ٥/ ١٧٨. وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢١/ ٥٢٧ ورجح خلافه.

(٥) النكت والعيون ٥/ ٣٧١ بنحوه، وأخرج قول ابن عباس الطبري ٢١/ ٥٢٨ - ٥٢٩ عنه وعن غيره.

(٦) ذكر قول عكرمة الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٨، وقول قتادة الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٧١، وأخرجه الطبري ٢١/ ٥٢٨ - ٥٢٩ عن قتادة.

(٧) في معاني القرآن ٣/ ٨٧.

كقولك: أقبل يشتِمني، أي: أخذ في شتمي. وقيل: أقبلت في صَرَّة، أي: في جماعة من النساء تسمع كلامَ الملائكة[١].

قال الجوهري: الصَّرَّة: الضَّجَّة والصيحة، والصَّرَّة: الجماعة، والصَّرَّة: الشِّدَّة مِن كرب وغيره، قال امرؤ القيس:

فألحَقَه بالهاديات ودونَهُ جَوَاحِرُها في صَرَّة لم تَزَيَّلِ

يحتمل هذا البيتُ الوجوهَ الثلاثة. وصَرَّةُ القيظ: شِدَّة حَرِّه[٢].

فلما سمعت سارة البِشارة، صَكَّت وجهها، أي: ضربت يدها على وجهها على عادة النِّسوان عند التعجُّب؛ قاله سفيان الثوريُّ وغيره[٣]. وقال ابن عباس: صَكَّت وجهها: لطمته[٤]. وأصل الصَّك: الضرب؛ صكَّه، أي ضربه؛ قال الراجز:

يا كَرَواناً صُكَّ فاكبأنَّا[٥]

قال الأموي: كَبَن الظَّبي: إذا لطأ بالأرض، واكبَأنَّ: انقبض[٦].

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي: أتلد عجوزٌ عقيم؟![٧].

---

(١) ذكره النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٤٤.

(٢) الصحاح (صرر). وبيت امرئ القيس في ديوانه ص٢٢، وروايته: فألحقنا.. قال شارحه: قوله: فألحقنا بالهاديات، أي: ألحقنا الفرس بالمتقدمات من البقر. والجواحر: ما تخلف منها. والصرة: الجماعة. ومعنى: لم تزيل: لم تفرق، أي: جمع الفرس بين أواخرها وأوائلها، فلم يفت منها شيء.

(٣) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٣٠ عن الثوري وغيره.

(٤) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٢٩.

(٥) الصحاح (صكك)، وينظر (كبن). والرجز لمدرك بن حصن، وهو في إصلاح المنطق ص٩٦، والمعاني الكبير ١/ ٢٩٤، واللسان (كبن)، والخزانة ٣/ ١٨٧ (دار صادر). والكَرَوان: طائر، قيل: هو الحُبَارَى: الصحاح (كرى). والمقصود به هنا عامل الزكاة هجي به، كأنه قال: يا رجلاً كروانا، أي: يا مثل الكروان بضعفه. الخزانة.

(٦) الصحاح (كبن).

(٧) النكت والعيون ٥/ ٣٧١ عن مجاهد والسدي.

الزجَّاج[١]: أي: وقالت: أنا عجوز عقيم فكيف ألد؟! كما قالت: «يا وَيْلَتا أَأَلد وأنا عجوزٌ» [هود: ٧٢].

﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ﴾ أي: كما قلنا لكِ وأخبرناك ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ فلا تَشُكِّي فيه، وكان بين البشارة والولادة سَنَة، وكانت سارة لم تلد قبل ذلك، فولدت وهي بنت تسعٍ وتسعين سنة، وإبراهيمُ يومئذ ابن مئةِ سنة، وقد مضى هذا[٢]. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ حكيم فيما يفعله، عليمٌ بمصالح خَلْقه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٣١ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝٣٢ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۝٣٤ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٦ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ لمَّا تيقَّن إبراهيم عليه السلام أنهم ملائكة بإحياء العجل والبشارة، قال لهم: «فَمَا خَطْبُكُمْ» أي: ما شأنكم وقِصَّتكم «أيُّها المرسَلون» ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يريد قومَ لوط. ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ أي: لنرجُمَهم بها.

﴿مُّسَوَّمَةً﴾ أي: مُعَلَّمة. قيل: كانت مخطَّطةً بسواد وبياض. وقيل: بسواد وحُمرة. وقيل: «مُسَوَّمَةً» أي: معروفة بأنها حجارة العذاب. وقيل: على كل حجر اسمُ من يَهلِك به. وقيل: عليها أمثالُ الخواتيم. وقد مضى هذا كلُّه في «هود»[٣]. فجَعلت الحجارة تتبع مسافريهم وشُذَّاذَهم[٤]، فلم يُفلت منهم مُخْبِر. ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: عند الله، وقد أعدَّها لرجم مَن قضى برجمه. ثم قيل: كانت مطبوخة طبخَ الآجُرّ، قاله

---

(١) في معاني القرآن ٥/ ٥٥.

(٢) ١١/ ١٦٨ - ١٦٩.

(٣) ١١/ ١٨٧ -١٨٩.

(٤) المثبت من (م)، وفي غيرها: شدادهم. وفي القاموس: الشُّذَّاذ: الذين لم يكونوا في حيِّهم ومنازلهم.

ابن زيد؛ وهو معنى قولِه تعالى: ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [هود: ٨٢] على ما تقدَّم بيانُه في «هود»[١]. وقيل: هي الحجارة التي نراها، وأصلها طين، وإنما تصير حجارة بإحراق الشمس إياها على مرِّ الدهور. وإنما قال: «مِنْ طِينٍ» ليعلم أنها ليست حجارةَ الماء التي هي البَرَد؛ حكاه القشيري[٢].

قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لمَّا أردنا إهلاكَ قوم لوط، أخرجنا مَن كان في قومه من المؤمنين؛ لئلا يَهلِكَ المؤمنون، وذلك قولُه تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [هود: ٨١]. ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ يعني لوطاً وبنتيه، وفيه إضمار؛ أي: فما وجدنا فيها غيرَ أهلِ بيت. وقد يقال: بيت شريف، يراد به الأهل. وقوله: «فِيهَا» كناية عن القرية، ولم يتقدَّم لها ذِكْر؛ لأن المعنى مفهوم[٣]. وأيضاً فقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يدلُّ على القرية؛ لأن القوم إنما يسكنون قرية. وقيل: الضمير فيها للجماعة[٤]، والمؤمنون والمسلمون هاهنا سواء، فجنَّس اللفظ لئلا يتكرر، كما قال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. وقيل: الإيمان تصديق القلب، والإسلام الانقياد بالظاهر، فكلُّ مؤمنٍ مسلمٌ وليس كلُّ مسلم مؤمناً. فسمَّاهم في الآية الأولى مؤمنين؛ لأنه ما من مؤمن إلَّا وهو مسلم[٥]. وقد مضى الكلام في هذا المعنى في «البقرة» وغيرها[٦]. وقولُه: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ﴾ [الحجرات: ١٤] يدل على الفرق بين الإيمان والإسلام، وهو مقتضى حديثِ جبريل عليه السلام في صحيح مسلم[٧] وغيره. وقد بيَّناه في غير موضع.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾ أي: عبرةً وعلامةً لأهل ذلك الزمانِ ومَن بعدهم؛

---

(١) ١١/١٦٨-١٦٩.

(٢) وحكاه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/١٧٨.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٤٥، والكشاف ٤/١٩.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٤٥.

(٥) الوسيط للواحدي ٤/١٧٨، وتفسير البغوي ٤/٢٣٣.

(٦) ٢/٣٩٦، ٤٠٧ - ٤٠٨ و٥/٦٨.

(٧) برقم (٨) و(٩). وسلف ٥/٦٨.

نظيرُه: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٥]. ثم قيل: الآية المتروكة نفس القرية الخَرِبة[١]. وقيل: الحجارة المنضودة التي رُجِموا بها هي الآية. ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ لأنهم المنتفعون.

قوله تعالى: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ﴾ أي: وتركنا أيضاً في قصة موسى آية. وقال الفراء: هو معطوف على قوله: «وفي الأَرْض آياتٌ» «وفي مُوسَى»[٢]. ﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بحجَّة بيِّنة، وهي العصا. وقيل: أي: بالمعجزات؛ من العصا وغيرها.

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ أي: فرعون؛ أعرض عن الإيمان «بِرُكْنِهِ» أي: بجموعه وأجناده؛ قاله ابن زيد. وهو معنى قولِ مجاهد[٣]. ومنه قولُه: «أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ» [هود: ٨٠] يعني المَنَعة والعشيرة. وقال ابن عباس وقتادة: بقوته[٤]. ومنه قول عنترة:

فما أَوْهَى مِرَاسُ الحربِ رُكْني ولكنْ ما تقادَم مِن زماني[٥]

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٨٧ بنحوه.

(٢) لم نقف على كلام الفراء، وذكر الوجهين الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٥٦ ، والزمخشري في الكشاف ٤/ ١٩ .

(٣) أخرجه وقولَ ابن زيد الطبري ٢١/ ٥٣٤ - ٥٣٥ .

(٤) في (ظ): لقومه (كذا) والأثر ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٧٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه عنه الطبري ٢١/ ٥٣٤ على الشك فقال: بقوته أو بقومه. أبو جعفر يشك. أي: الطبري. وأما قتادة فقد أخرج عنه ٢١/ ٥٣٥ قوله: بقومه، وكذا أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٤٤ ، وذكره النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٤٦ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٨٠ .

(٥) ونسبه أيضاً لعنترة المبرِّد في الكامل ١/ ٢٨٥ ، وليس هو في المطبوع من ديوانه. والكلام في النكت والعيون ٥/ ٣٧٢ .

وقيل: بنفسه. وقال الأخفش[١]: بجانبه؛ كقوله تعالى: ﴿أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٣] وقاله المؤرِّج.

الجوهري[٢]: ورُكْن الشيء جانبه الأقوى، وهو يأوي إلى ركن شديد، أي: عِزٌّ ومَنَعة. القشيري: والركن جانب البدن. وهذا عبارةٌ عن المبالغة في الإعراض عن الشيء.

﴿وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ «أو» بمعنى الواو، لأنهم قالوهما جميعاً[٣]. قاله المؤرِّج والفرَّاء، وأنشد بيت جرير[٤]:

أَثَعْلَبَةَ الفوارسَ أو رِياحا عَدَلْتَ بهم طُهَيَّةَ والخِشَابا

وقد توضع «أو» بمعنى الواو؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]. والواوُ بمعنى «أو»، كقوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣] وقد تقدَّم جميع هذا[٥].

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ﴾ لكفرهم وتولِّيهم عن الإيمان. ﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾ أي: طرحناهم ﴿فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ يعني فرعون، لأنه أتى ما يلام عليه.

قوله تعالى: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَفِى عَادٍ﴾ أي: وتركنا في عاد آيةً لمن تأمَّل. ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ وهي التي لا تُلْقح سحاباً ولا شجراً، ولا رحمةَ فيها ولا بركة ولا منفعة؛

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في الصحاح (ركن).

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٢٧. وقد ضعفه النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٤٦، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٨٠.

(٤) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن. وسلف ١٧/ ٣١٣.

(٥) ١/ ٣٢٥، ٦/ ٣٣ - ٣٥.

ومنه: امرأة عقيم لا تحمل ولا تلد. ثم قيل: هي الجَنُوب؛ روى ابن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن، عن النبيِّ ﷺ قال[١]: «الريح العقِيم الجَنُوب». وقال مقاتل: هي الدَّبُور[٢]، كما في الصحيح عن النبيِّ ﷺ: «نُصِرت بالصَّبَا، وأُهلِكت عادٌ بالدَّبُور»[٣]. وقال ابن عباس: هي النَّكْباء[٤]. وقال عُبيد بن عُمير: مسكنها الأرض الرابعة، وما فتح على عاد منها إلا كقَدْر مَنْخِر الثور. وروى ابن أبي نَجيح عن مجاهد أنها الصَّبا[٥]؛ فالله أعلم.

قوله تعالى: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ أي: كالشيء الهشيم؛ يقال للنبت إذا يبس وتفتَّت: رميم وهشيم. قال ابن عباس: كالشيء الهالك البالي؛ وقاله مجاهد[٦]. ومنه قول الشاعر[٧]:

تركْتَني حين كَفَّ الدَّهرُ مِن بصري ... وإذ بَقِيتُ كعَظْم الرِّمَّة البالي

وقال قتادة: إنه الذي دِيس من يابس النبات. وقال أبو العالية والسُّدِّيّ: كالتراب المدقوق. قُطْرب: الرَّمِيم: الرَّماد[٨]. وقال يمان: ما رَمَته الماشية من الكلأ بمِرَمَّتها. ويقال للشَّفَة: المِرَمَّة والمِقَمَّة، بالكسر، والمَرَمَّة ـ بالفتح ـ لغةٌ فيه. وأصل الكلمة مِن: رَمَّ العظمُ: إذا بَلي؛ تقول منه: رَمَّ العظم يَرِمُّ ـ بالكسر ـ رِمَّة، فهو رمِيم،

---

(١) كذا في النكت والعيون ٥/ ٣٧٣ ، وأخرجه الطبري ٢١/ ٥٣٨ ، وأبو الشيخ في العظمة (٨٥١) بهذا السند عن سعيد بن المسيب من كلامه.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٣٧٣ . والدَّبُور: الريح التي تقابل الصَّبا. النهاية (دبر).

(٣) صحيح البخاري (١٠٣٥)، وصحيح مسلم (٩٠٠). وسلف ٢/ ٤٩٩ .

(٤) ذكر هذا القول الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٩ ، وابن عطية في المحرر ٥/ ١٨٠ عن علي ﷺ، وكذا أخرجه الفريابي وابن المنذر كما في الدر المنثور ٦/ ١١٥ .

(٥) النكت والعيون ٥/ ٣٧٣ .

(٦) أخرج قولهما الطبري ٢١/ ٥٤٠ . وقول مجاهد في النكت والعيون.

(٧) هو جرير، والبيت في شرح ديوانه ٢/ ٥٨٤ باختلاف يسير، وهو برواية المصنف في النكت والعيون.

(٨) النكت والعيون ٥/ ٣٧٣ دون ذكر أبي العالية، وقوله في تفسير البغوي ٤/ ٢٣٣ .

قال الشاعر:

ورأى عـواقـبَ خُـلْـفِ ذاك مَـذَمَّـةً تَـبـقَـى عـلـيـه والـعِـظـامُ رَمِـيـمُ[١]

والرِّمَّة ـ بالكسر ـ العظام البالية، والجمع: رِمَم ورِمَام[٢]. ونظيرُ هذه الآية: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٥] حسَب ما تقدَّم[٣].

قوله تعالى: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ أي: وفيهم أيضاً عِبْرةٌ وآية حين قيل لهم: عيشوا متمتِّعين بالدنيا ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى وقت الهلاك، وهو ثلاثة أيام كما في هود: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [الآية: ٦٥]. وقيل: معنى «تَمَتَّعُوا» أي: أَسلِموا وتمتَّعوا إلى وقت فراغ آجالِكم. ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: خالَفوا أمر الله، فعقروا الناقة ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ أي: الموت. وقيل: هي كلُّ عذاب مُهلِك[٤]. قال الحسين[٥] بن واقد: كلُّ صاعقة في القرآن فهو العذاب.

وقرأ عمر بن الخطاب وحميد وابن مُحَيْصِن ومجاهدٌ والكسائي: «الصَّعْقة»[٦]؛ يقال: صَعِق الرجلُ صَعْقةً وتَصْعاقاً، أي: غُشِي عليه. وصَعَقتهم السماء: إذا ألقت عليهم الصاعقة. والصاعقة أيضاً صيحة العذاب[٧]. وقد مضى في «البقرة»[٨] وغيرها.

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) الصحاح (رمم).

(٣) ص٢١٤-٢١٥ من هذا الجزء.

(٤) الوسيط للواحدي ٤/ ١٧٩ ، وتفسير البغوي ٤/ ٢٣٤ ، والقول الأول نسباه لابن عباس.

(٥) في النسخ الخطية: الحسن.

(٦) أخرجها عن عمر الفراء في معاني القرآن ٣/ ٨٨ ، والطبري في تفسيره ٢١/ ٥٤٢ ، وهي عن الكسائي في السبعة ص٦٠٩ ، والتيسير ٢٠٣ .

(٧) الصحاح (صعق).

(٨) ١/ ٣٣٠ - ٣٣٢ .

﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ إليها نهاراً[١].

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ﴾ قيل: معناه: من نهوض[٢]. وقيل: ما أطاقوا أن يستقِلُّوا بعذاب الله وأن يتحمَّلوه ويقوموا به ويدفعوه عن أنفسهم؛ تقول: لا أقوم لهذا الأمر، أي: لا أطيقه[٣]. وقال ابن عباس: أي: ذهبت أجسامهم وبقيت أرواحهم في العذاب. ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ﴾ أي: ممتنعين من العذاب حين أُهلكوا، أي: ما كان لهم ناصر.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ قرأ حمزة والكسائيُّ وأبو عمرو: «وَقَومِ نُوحٍ» بالخفض، أي: وفي قوم نوحٍ آيةٌ أيضاً. الباقون بالنصب[٤] على معنى: وأهلكنا قوم نوح، أو يكون معطوفاً على الهاء والميم في «أَخذَتْهُمْ»، أو الهاء في«أَخَذناهُ»، أي: فأخذتْهم الصاعقة وأخذتْ قومَ نوح، أو: «نَبَذناهُمْ في اليمِّ» ونبذنا قومَ نوح[٥]، أو يكون بمعنى: اذكر[٦].

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىٍ۟ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىٍ۟﴾ لمَّا بيَّن هذه الآيات قال: وفي السماء آياتٌ وعِبَرٌ تدلُّ على أنَّ الصانع قادر على الكمال، فعَطَفَ أمر السماء على قصة قوم نوحٍ

---

(١) الكشاف ٤/ ١٩ .

(٢) أخرج هذا القول الطبري ٢١/ ٥٤٣ عن قتادة.

(٣) ذكره بمعناه الفراء في معاني القرآن ٣/ ٨٨ .

(٤) السبعة ص٦٠٩ ، والتيسير ص٢٠٣ .

(٥) وهو الوجه الذي استحسنه الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٥٧ وقال: لأن المعنى: فأغرقناه وجنودَه وأغرقنا قوم نوح من قبل.

(٦) كره الفراء في معانيه ٣/ ٨٨-٨٩ هذا التقدير، وكره أيضاً النصب على معنى: وأهلكنا قوم نوح، والعطفَ على الهاء والميم في «أخَذَتْهم». وذكر هذه الأوجه مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٨٩ .

لأنهما آيتان. ومعنى «بِأَيْدٍ» أي: بقوة وقدرة. عن ابن عباس وغيره[١].

﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ قال ابن عباس: لقادرون. وقيل: أي: وإنَّا لذو سَعة، بخلقها وخلقِ غيرها؛ لا يضيق علينا شيءٌ نريده. وقيل: أي: وإنا لموسِعون الرزقَ على خَلْقنا. عن ابن عباس أيضاً. الحسن: وإنا لمطيقون. وعنه أيضاً: وإنا لموسعون الرزقَ بالمطر. وقال الضحَّاك: أغنيناكم؛ دليلُه: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾[٢] [البقرة: ٢٣٦]. وقال القُتَبي: ذو سَعةٍ على خلقنا[٣]. والمعنى متقارب. وقيل: جعلنا بينها وبين الأرض سعة[٤]. الجوهري: وأوسعَ الرجلُ، أي: صار ذا سَعة وغِنىً، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي: أغنياء قادرون[٥]. فشمل جميع الأقوال.

﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾ أي: بسطناها كالفِراش على وجه الماء ومددناها. ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ أي: فنعم الماهدون نحن لهم. والمعنى في الجمع التعظيمُ؛ مَهَدْت الفِراشَ مَهْداً: بَسَطْته ووطَّأته، وتمهيد الأمور: تسويتُها وإصلاحها[٦].

قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: صنفين ونوعين مختلفين. قال ابن زيد: أي ذكراً وأنثى[٧]، وحلواً وحامضاً، ونحو ذلك. مجاهد[٨]: يعني الذَّكَرَ والأنثى، والسماءَ والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والنور والظلام، والسهل والجبل، والجِنَّ والإنس، والخير والشرَّ، والبُكْرة والعَشيَّ، وكالأشياء المختلفة الألوان من الطُّعوم والأراييح والأصوات. أي: جعلنا هذا هكذا[٩] دَلالةً

---

(١) أخرجه عنه وعن غيره الطبري ٢١/ ٥٤٥ - ٥٤٦ .

(٢) هذه الأقوال في النكت والعيون ٥/ ٣٧٣ - ٣٧٤ ، وتفسير البغوي ٤/ ٢٣٤ .

(٣) تفسير غريب القرآن ص٤٢٢ ، وفي زاد المسير ٨/ ٤١ نقلاً عنه: أي لقادرون.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥٧ .

(٥) الصحاح (وسع).

(٦) الصحاح (مهد).

(٧) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٤٨ ، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٨٩ .

(٨) أخرج قوله الطبري ٢١/ ٥٤٧ بنحوه.

(٩) في (م): كهذا.

على قدرتنا، ومَن قَدَرَ على هذا فليقدر على الإعادة.

وقيل: «ومِنْ كلِّ شَيءٍ خَلَقْنا زوجَينِ» لتعلموا أنَّ خالق الأزواج فرد، فلا يقدَّر في صفته حركةٌ ولا سكون، ولا ضياء ولا ظلام، ولا قعود ولا قيام، ولا ابتداء ولا انتهاء؛ إذ هو عزَّ وجلَّ وِتر[1] «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥١ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٥٣ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ۝٥٤ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ لما تقدَّم ما جرى مِن تكذيب أممهم لأنبيائهم وإهلاكهم؛ لذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ: قل لهم يا محمد، أي: قل لقومك: «ففِرُّوا إلى الله إنِّي لكُمْ منه نذيرٌ مُبِينٌ» أي: فِرُّوا من معاصيه إلى طاعته. وقال ابن عباس: فِرُّوا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم. وعنه: فِرُّوا منه إليه، واعملوا بطاعته[2]. وقال محمد بن عبد الله بنِ عمرو بن عثمان بن عفان[3]: «ففِرُّوا إلى الله» اخرجوا إلى مكة. وقال الحسين[4] بن الفضل: احترزوا من كل شيءٍ دون الله؛ فمَن فرَّ إلى غيره لم يمتنع منه. وقال أبو بكر الورَّاق: فِرُّوا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن. وقال الجُنَيد: الشيطان داعٍ إلى الباطل؛ ففروا إلى الله يمنعكم منه. وقال ذو النون المصري: ففِرُّوا من الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الشكر. وقال عمرو بن

---

(١) قوله: هو عز وجل وتر، قطعة من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه عنه أحمد (٧٦٢٣)، (٨١٤٦)، والبخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧). وفي الباب عن علي ﷺ، أخرجه أحمد (٨٧٧)، وأبو داود (١٤١٦)، والترمذي (٤٥٣)، والنسائي ٣/ ٢٨٨ - ٢٢٩ ، وابن ماجه (١١٦٩).

(٢) ذكر قوله الثاني البغوي في تفسيره ٤/ ٢٣٤ .

(٣) هو أبو عبد الله العثماني المدني، الملقب بالديباج لحسنه، كان جواداً سخياً، ذا مروءة وسؤدد وحشمة. توفي سنة ١٤٥ هـ. السير ٦/ ٢٢٤ .

(٤) في (ز): الحسن.

عثمان: فِرُّوا من أنفسكم إلى ربكم. وقال أيضاً: فِرُّوا إلى ما سبق لكم من الله، ولا تعتمدوا على حركاتكم. وقال سهل بن عبد الله: فِرُّوا مما سوى الله إلى الله[١].

﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: أُنذركم عقابَه على الكفر والمعصية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ أَمَرَ محمداً ﷺ أن يقولَ هذا للناس وهو النذير. وقيل: هو خطابٌ من الله للخلق. ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ﴾ أي: من محمد وسيوفه ﴿نَذِيرٌ﴾ أي: أُنذركم بأسَه وسيفه إن أشركتم بي؛ قاله ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ﴾ هذا تسليةٌ للنبيِّ ﷺ، أي: كما كذَّبك قومك وقالوا: ساحر أو مجنون، كذَّب مَن قبلهم وقالوا مِثْلَ قولهم.

والكاف من «كَذَلِكَ» يجوز أن تكون نصباً على تقدير: أُنذركم إنذاراً كإنذار مَن تقدَّمني مِن الرسل الذين أنذروا قومهم، أو رفعاً على تقدير: الأمرُ كذلك، أي: كالأول. والأوَّل تخويفٌ لمن عصاه من الموحِّدين، والثاني لمن أشرك به من الملحِدين[٢]. والتمام على قوله: «كَذَلِكَ»[٣]، عن يعقوب وغيره.

قوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ أي: أوصى أوَّلُهم آخرَهم بالتكذيب. وتواطؤوا عليه! والألف للتوبيخ والتعجب. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: لم يوصِ بعضُهم بعضاً، بل جمَعهم الطغيان، وهو مجاوزة الحدِّ في الكفر.

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرِض عنهم واصفح عنهم ﴿فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ عند الله؛ لأنك أدَّيت ما عليك من تبليغ الرسالة. ثم نسخ هذا بقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. وقيل: نسخ بآية السيف. والأوَّل قول الضحَّاك؛ لأنه قد أمر بالإقبال عليهم بالموعظة[٤].

---

(١) ذكر قوله البغوي في تفسيره ٤/ ٢٣٤.

(٢) الكلام بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٥٠.

(٣) المكتفى في الوقف والابتداء ص٥٣٨.

(٤) الكلام بنحوه في الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص٤١٩، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٣/ ٢٨، والمحرر الوجيز ٥/ ١٨٢.

وقال مجاهد: «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ»: فأعرض عنهم[١]. «فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ» أي: ليس يلومك ربُّك على تقصيرٍ كان منك[٢]. «وَذَكِّرْ» أي: بالعِظة؛ فإنَّ العِظة «تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ». قتادة: «وَذَكِّرْ» بالقرآن[٣] «فَإِنَّ الذِّكْرَى» به «تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ». وقيل: ذكِّرهم بالعقوبة وأيامِ الله[٤]. وخصَّ المؤمنين؛ لأنهم المنتفعون بها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قيل: إنَّ هذا خاصٌّ فيمن سبق في علم الله أنه يعبده، فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص، والمعنى: وما خلقتُ أهل السعادة من الجنِّ والإنس إلَّا ليوحِّدون. قال القشيريّ: والآية دخلها التخصيصُ على القطع؛ لأن المجانين والصبيان ما أُمروا بالعبادة حتى يقال أراد منهم العبادة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ومن خُلق لجهنم لا يكون ممَّن خُلق للعبادة، فالآية محمولةٌ على المؤمنين منهم؛ وهو كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ [الحجرات: ١٤] وإنما قال فريق منهم. ذكره الضحاك والكلبي والفرّاء والقتبي[٥].

وفي قراءة عبدِ الله: «وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ مِنَ المُؤْمِنِينَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»[٦].

---

(١) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٥١.

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٣/ ٢٩.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٣٧٤، والأول ذكره عن مجاهد.

(٤) معاني القرآن للزجاج بنحوه ٥/ ٥٨.

(٥) ذكر قولهم الواحدي في الوسيط ٤/ ١٨١، وقول الفراء في معاني القرآن له ٣/ ٨٩، وقول القتبي في تأويل مشكل القرآن له ص١١٧ - ١١٨.

(٦) القراءات الشاذة ص١٤٥.

وقال عليٌّ ﷺ: أي: وما خلقت الجنَّ والإنس إلَّا لآمُرَهم بالعبادة. واعتمد الزجَّاج على هذا القول[١]، ويدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ [التوبة: ٣١].

فإن قيل: كيف كفروا وقد خلقهم للإقرار بربوبيَّته والتذلُّلِ لأمره ومشيئته؟ قيل: قد تذلَّلوا لقضائه عليهم؛ لأن قضاءه جارٍ عليهم لا يقدرون على الامتناع منه، وإنما خالفه[٢] مَن كفر في العمل بما أمره به، فأما التذلُّلُ لقضائه فإنه غير ممتنع منه.

وقيل: «إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» أي: إلَّا ليُقرُّوا لي بالعبادة طوعاً أو كَرهاً؛ رواه عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس[٣]. فالكره ما يُرَى فيهم من أثر الصَّنعة. مجاهد: إلَّا ليعرفوني. الثعلبي: وهذا قولٌ حسن؛ لأنه لو لم يخلقهم لَمَا عُرف وجودُه وتوحيده. ودليلُ هذا التأويلِ قولُه تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾[٤] [الزخرف: ٨٧] ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، وما أشبه هذا من الآيات. وعن مجاهد أيضاً: إلَّا لآمُرهم وأنهاهم. زيد بن أسلم: هو ما جُبِلوا عليه من الشِّقوة والسعادة[٥]؛ فخَلَقَ السعداءَ من الجنِّ والإنس للعبادة، وخلق الأشقياءَ منهم للمعصية. وعن الكلبيِّ أيضاً: إلَّا ليوحِّدون، فأمَّا المؤمن فيوحِّدُه في الشِّدَّة والرَّخاء، وأما الكافر فيوحِّده في الشدَّة والبلاء دون النعمة والرَّخاء؛ يدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٦] [لقمان: ٣٢] الآية. وقال عِكْرمة: إلَّا ليعبدون ويطيعون، فأُثيبُ العابد وأعاقب الجاحد. وقيل: المعنى: إلَّا لأستعبدهم. والمعنى متقارب؛ تقول: عبدٌ بيِّن العُبُودة

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥٨ ، وقول علي ﷺ في تفسير البغوي ٤/ ٢٣٥ ، والمحرر الوجيز ٥/ ١٨٢ .

(٢) في (م): خالفهم، والمثبت من النسخ الخطية، وهو الموافق لما في تفسير الطبري ٢١/ ٥٥٥ .

(٣) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٥٤ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٣٥ .

(٥) النكت والعيون ٥/ ٣٧٤ ، وقول زيد بن أسلم أخرجه الطبري ٢١/ ٥٥٣ - ٥٥٤ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٢٣٥ دون نسبة.

والعبوديَّة، وأصل العبودية الخضوعُ والذُّلّ. والتعبيد التذليل؛ يقال: طريق معبَّد[١]. قال[٢]:

وظِيفاً وَظِيفاً فوقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ

والتعبيد الاستعباد، وهو أن يتَّخذَه عبداً، وكذلك الاعتباد. والعبادة: الطاعة، والتَّعبُّد التَّنسك[٣]. فمعنى «لِيَعْبُدُون»: لِيَذِلُّوا ويخضعوا ويعبدوا.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ «مِنْ» صِلة، أي: رِزقاً، بل أنا الرزَّاق والمعطي. وقال ابن عباس وأبو الجوزاء: أي: ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ولا أن يطعموها[٤]. وقيل: المعنى: ما أريد أن يرزقوا عبادي ولا أن يطعموهم[٥].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ وقرأ ابن مُحيصِن وغيرُه: «الرَّازِقُ»[٦]. ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ أي: الشديد القويّ.

وقرأ الأعمش ويحيى بنُ وثَّاب والنَّخَعي: «المَتِينِ» بالجرِّ على النعت لـ «القوَّةِ»[٧].

الباقون بالرفع على النعت لـ «الرزَّاق»، أو «ذُو» مِن قوله: «ذُو القُوَّةِ» أو يكون خبرَ ابتداءٍ محذوف؛ أو نعتاً لاسم «إنّ» على الموضع، أو خبراً بعد خبر[٨]. قال

---

(١) الصحاح (عبد).

(٢) هو طرفة، والبيت في ديوانه ص٢٢ ، وسلف ١/ ٣٤١ .

(٣) الصحاح (عبد).

(٤) أخرجه بنحوه الطبري ٢١/ ٥٥٥ عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٧٥ لأبي الجوزاء.

(٥) النكت والعيون ٥/ ٣٧٥ .

(٦) القراءات الشاذة ص١٤٥ .

(٧) ذكرها عن الأعمش ويحيى بن وثاب ابن جني في المحتسب ٢/ ٢٨٩ ، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٤٥ عن يحيى بن وثاب.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٥٢ .

الفرَّاء[١]: كان حقه: المتينة؛ فذكَّره لأنه ذهب بها إلى الشيء المبرَم المحكَم الفَتْلِ؛ يقال: حبل متين. وأنشد الفرَّاء:

لـكُـلِّ دهـرٍ قـد لَـبِـسْـتُ أَثْـوُبـا حتى اكْتسَى الرَّأْسُ قِنَاعاً أَشْيبَا

مِـن ريـطـةٍ واليُـمْـنَـةَ الـمُـعَـصَّـبـا[٢]

فذكَّر المعصَّب؛ لأن اليمنة صنفٌ من الثياب؛ ومن هذا الباب قولُه تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ﴾ [البقرة: ٢٧٥] أي: وَعْظٌ، ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٦٧] أي: الصياحُ والصوت.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: كفروا من أهل مكة[٣] ﴿ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ أي: نصيباً من العذاب مثلَ نصيبِ الكفار من الأمم السالفة. وقال ابن الأعرابي: يقال: يومٌ ذَنُوب، أي: طويل الشرِّ لا ينقضي. وأصل الذَّنُوب في اللغة الدَّلوُ العظيمة[٤]، وكانوا يستقون الماء، فيقسمون ذلك على الأنصباء؛ فقيل للذَّنُوب نصيبٌ مِن هذا[٥]، قال الراجز:

لـنـا ذَنُـوبٌ ولـكـم ذَنُـوبُ فـإنْ أَبَـيـتُـمْ فـلـنـا الـقَـلِـيـبُ[٦]

وقال علقمة:

---

(١) في معاني القرآن ٣/ ٩٠ .

(٢) البيت الأول والثالث في معاني القرآن للفراء ٣/ ٩٠ ، وتفسير الطبري ٢١/ ٥٥٦ .

والأبيات ضمن أرجوزة نسبت لمعروف بن عبد الرحمن، كما ذكر محقق ديوان حميد بن ثور ص٦١ . الريطة: المُلاءة من قطعة واحدة. واليُمْنَة، بضم الياء وفتحها: بُرد يمني. والمعصَّب: ضرب من البرود يصبغ غزله ثم ينسج. شرح الديوان.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٣٦ .

(٤) تهذيب اللغة ١٤/ ٤٤٠ ، ٤٣٩ .

(٥) الكلام بنحوه في تفسير غريب القرآن ص٤٢٣ ، والكشاف ٤/ ٢١ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٣/ ٩٠ ، وتفسير الطبري ٢١/ ٥٥٧ ، والكشاف ٤/ ٢١ ، واللسان (ذنب) دون نسبة.

وفي كلِّ يومٍ قد خَبَطْتَ بنعْمةٍ فحُقَّ لِشَأْسٍ مِن نَدَاك ذَنُوبُ[١]

وقال آخر[٢]:

لَعَمْرُكَ والمنايا طارِقاتٌ لكلِّ بَني أَبٍ منها ذَنُوبُ

الجوهري: والذَّنُوب: الفرس الطويل الذَّنب، والذَّنُوب: النصيب، والذَّنُوب: لحم أسفل المَتْن، والذَّنُوب: الدَّلو الملأى ماءً. وقال ابن السِّكِّيت: فيها ماءٌ قريب من المَلء، يؤنَّث ويذكَّر، ولا يقال لها وهي فارغة: ذَنُوب، والجمع في أدنى العدد أَذْنِبة، والكثير ذَنائِب، مثل: قَلُوص وقَلائص[٣].

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ أي: فلا يستعجلوا نزول العذاب بهم؛ لأنهم قالوا: يا محمد «فأْتنا بما تَعِدُنا إِنْ كُنتَ مِن الصَّادقين» [الأعراف: ٧٠]. فنزل بهم يومَ بدرٍ ما حقَّق الله تعالى به وعدَه، وعجَّل به انتقامه[٤]، ثم لهم في الآخرة العذابُ الدائم، والخزيُ القائم الذي لا انقطاع له ولا نفاد، ولا غاية ولا آباد.

تم تفسير سورة الذاريات، والحمدُ لله

---

(١) ديوان علقمة الفحل ص٤٨ . وشأس أخوه.

(٢) هو أبو ذؤيب الهذلي والبيت في ديوان الهذليين ١/ ٩٢ .

(٣) الصحاح (ذنب).

(٤) النكت والعيون ٥/ ٣٧٥ .